مراد هوفمان ونقده للمسيحية

إعداد

الدكتور / علي إسماعيل الجدة

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

كل يوم يمر على الإسلام تزداد قناعة الغربيين بجماله وجلاله. وأنه دين العقل والفطرة . دين يصلح لقيادة البشرية جمعاء. لأنه كلمة الله الأخيرة إليها .

ومراد هوفمان واحد من هؤلاء الغربيين الذين أعجبوا بالإسلام واقتنعوا به فآثره على مسيحيته التي ظل فيها قرابة نصف قرن تقريباً .

وفي عام ١٩٨٠ م يعلن إسلامه في المركز الإسلامي بكولونيا ويتحول إلى جند من جنود الإسلام في الدفاع عنه والذود عن حياضه ــ وإظهار بطلان ما كان عليه ــ ونقده .

ويعتبر هذا الجانب النقدي من أبرز الجوانب في فكر مراد هوفمان ــ في نظري لأسباب منها :

١ ــ أن الرجل كان مسيحياً كاثوليكيا ولفترة طويلة من الزمن جعلته يقف على كثير من حقائقها ودقائقها ــ إذ أنها ديانته وديانة آبائه وأجداده من قبل. وعندما فحصها بمنظاره العقلي الإسلامي وجد أنها لا تصمد أمام الحجج العقلية والبراهين المنطقية. وخاصة إذا ما قورنت بحقائقه ودقائقه .

٢ ــ أن النقد مسألة طبيعية لرجل كمراد هوفمان .فلا يعقل أن ينتقل من المسيحية إلى الإسلام دون أن تكون لديه المرجحات التي تجعله يؤثر الثاني على الأول ويضحي في سبيل ذلك بالغالي والنفيس ودون أن يبين ما في المسيحية من أوهام وأباطيل وخرافات وترهات . ونقده للمسيحية إنما هو لتقديم البديل الذي يصلح للبشرية ويصلحها . وهو الإسلام . ولذلك ألف كتابة " الإسلام كبديل " ووضع فيه نظريته المعروفة " نظرية البديل " والتي تعني باختصار البديل لجميع النظم التي تسود العالم الغربي اليوم .

٣ ــ إن نقد هؤلاء الذين أسلموا قديماً وحديثاً ــ كمراد هوفمان وأمثاله له قيمة كبيرة وأهمية عظيمة . لمعرفتهم بأسرار دينهم وأصول عقيدتهم ووقوفهم على مواطن الضعف وأماكن الخلل. وأنهم بمقتضى هذه المعرفة يستطيعون توجيه الطعون القاتلة والسهام النافذة التي تهدم بنيانهم الديني والعقدي من أساسه . وتقضي عليه من أصله ــ وهذا هو سرا احتجاج علماء الأديان عندنا بنقدهم من أمثال ابن حزم الظاهري ــ وابن تيمية ــ وابن القيم ــ وابن معمر ــ ورحمة الله الهندي ــ والباجه جي زادة وغيرهم . ويحتل نقد هوفمان للمسيحية ــ مكانة في علم مقارنة الأديان ــ تجعله في مصاف العلماء الذين لهم إسهامات واضحة وبصمات ظاهرة لا يستهان بها .

٤ ـ أن النقد هو التيار الذي يموج في الغرب الآن . ويقوده جمهرة من المفكرين الأحرار الذين رفضوا السيطرة الكنسية والتعاليم المسيحية والخرافات الدينية . واحتكموا إلى العقل وحكموه. وودعوا مقولة " أغمض عينيك والغ عقلك . وأن المسيحية أسرار فوق العقل والفكر " فلم يعد ذلك ينطلي على أصحاب العقول والأفهام .

ومراد هوفمان شخصية عالمية الثقافة عالمية الفكر تابعت هذا التيار وسجلته في مؤلفاتها كلما حانت الظروف وسنحت الفرصة ليؤكد للغرب أن بقاء هؤلاء على مسيحيتهم لم يمنعهم من قول الحق والاعتراف بالحقيقة .

ولما كان هذا الجانب النقدي هو أبرز الجوانب عند هوفمان فقد أستعنت بالله وكتبت فيه هذا البحث صحيح أن شخصية الرجل ثرية وجديرة بالبحث والدراسة في جوانب أخرى لا تقل أهمية عن موضوعنا ـ كآرائه الاعتقادية ـ وموقفه من الفرق والمذاهب الإسلامية ـ والإسلام وموقفه من القضايا العصرية . وغير ذلك . لكن يبقى بحثنا هو مفتاح الشخصية باعتباره المعبر الذي يعبر منه إلى الإسلام والدخول إليه . فهو مرتبط بأكبر حدث في حياة هوفمان . وهو إسلامه . والذي يمثل تحولاً كبيراً وخطيراً في حياته الإنسانية والفكرية معاً .

والبحث وإن لم يكن كافيا أو كاملاً في كل ما يتعلق بهذه الشخصية فحسبي أني وضعت اللبنة الأولى فيها وأنرت شمعة لمن

أراد أن يكمل المسيرة ويواصل المسيرة ــ ومن خلال هذه اللبنة نبرز أهمية البحث . وقد اقتضت طبيعته أن يكون قائماً على منهجي الاستقرار والاستنباط ــ نقرأ النصوص . ونستنبط منها النتائج التي تؤيد فكرتنا وتوضحها ــ وقد جاء مكوناً من ثلاثة فصول . قبلها مقدمة وبعدها خاتمة .

وأما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع والأسباب الداعية إلى الكتابة فيه والمنهج .

وأما الفصل الأول : فجعلته بعنوان : التعريف بمراد هوفمان ــ وقد تتبعت فيه سيرته من الولادة إلى ما استقر عليه وضعه الآن.

وأما الفصل الثاني : فجعلته بعنوان : نقد مراد هوفمان لمصادر العقيدة المسيحية وسلطت فيه الضوء على المصدرين الأساسيين للعقيدة المسيحية ــ وهما ــ العهد الجديد " الإنجيل " " والمجامع المسيحية " ولذلك قسمته إلى مبحثين : المبحث الأول : نقد مراد للعهد الجديد " الإنجيل " ، والمبحث الثاني : نقد مراد هوفمان للمجامع المسيحية .

وأما الفصل الثالث : فجعلت عنوانه : نقد مراد هوفمان للعقيدة المسيحية وقد ركزت فيه على عقيدتي التثليث والصلب باعتبارهما أصل العقيدة المسيحية وأساسها ولذلك قسمته إلى مبحثين : الأول : نقد مراد هوفمان لعقيدة التثليث ــ والثاني نقده لعقيدة الصلب وما ترتب عليها .

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

وأرجو أن أكون قد وفقت وأصبت من خلال ما عرضت وكتبت فإن كنت كذلك . فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ـ ﴿ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١)، ﴿ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢)

وإن كانت الأخرى فحسبي أنني من البشر الذين يجتهدون فيصيبون ويخطئون وفوق كل ذي علم عليم .

وأدعو الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يعلمون فيعملون ويعملون فيخلصون ـ ويخلصون فيقبلون ـ فاللهم تقبل منا عملنا هذا واجعله خالصاً لوجهك الكريم ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

الباحث

د/ علي إسماعيل الجدة
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بجامعة الأزهر

---

(١) النور آية ٢١ .
(٢) البقرة آية ٦٤ .



الفصل الأول

التعريف بمراد هوفمان

ليس أمامي مرجع أو مصدر لحياة مراد هوفمان كاملاً يتحدث عن نشأته وتربيته ودراسته وعمله فيعتمد عليه فيها ولكننا لا نعدم نصوصاً قليلة أو نتفاً هنا وهناك تذكرها ونستنطقها في الدلالة على المراد ــ ولاشك أن هذه النصوص وتلك النتف ستعطينا الشكل الكامل ــ أو الترجمة التي تكاد تكون وافيه وشاملة .

أ ــ أسرة مراد هوفمان الأولى :

هنا في ألمانيا وفي مدينة أشافينبرج الواقعة في ولاية بايرن ولد هوفمان في أسرة مسيحية كاثوليكية ــ وتحديداً في اليوم السادس من شهر يوليو ١٩٣١م ــ وكان والده بروفيسراً ألمانياً تقليدياً في الرياضة والفيزياء[1] وهذه العلوم كان لها أثر واضح في نشأة مراد هوفمان وحياته التعليمية .

أما والدته فكانت كاثوليكية كأبيه ــ ولا نعلم شيئاً عن ثقافتها ولا عملها ــ سوى إنها كانت شديدة التمسك بكاثوليكتها لدرجة كبيرة فعندما بلغها خبر إسلام ولدها في بلاد العرب قالت ليبقى

---

(١) انظر خواء الذات والأدمغة المستعمرة د/ مراد هوفمان ٩ تعريب عادل المعلم ونشأت جعفر مكتبة الشروق الدولية ــ القاهرة ط ١ / ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م .

عندهم[١] واعتبرت إسلامه ــ في نظرها ــ فشلاً في تربيته على المسيحية ــ وأقسى ما يوجه للمرأة أنها لم تحسن تربية أبنائها ولم تنشئهم تنشئة دينية خالصة .

ولم تذكر المصادر ولا المراجع التي بين أيدينا شيئاً عن أخوة له أو أخوات بنين أو بنات .

ب ــ دراسته وتعليمه الأساسي والجامعي :

تلقى هوفمان تعليمه الأساسي في مدينة أشافينبرج في ظروف صعبة

حيث الحرب العالمية الثانية ــ وكان وقع الحرب على هذه المدينة شديد . فقد كانت ذات أهمية بها خمس كتائب من الجيش الألماني على جانب كونها نقطة التقاء للمواصلات ونقطة صناعة وابتداء من سبتمير عام ١٩٤٠ م راحت تتعرض لغارات جوية منتظمة تقريباً كما تعرضت مدرسته التي كان يتلقى فيها تعليمه الأساسي لهذه الغارات الجوية . وأصيب المخبأ الخاص بتلاميذ فصله[٢] وكان لهذه الأحداث أثر في نفس صاحبنا وهو ابن تسع سنين حيث خبر القصف الاستراتيجي والاحتلال العسكري[٣] من

---

(١) انظر الطريق إلى مكة مراد هوفمان ١٤٣ ، ١٥٦ دار الشروق القاهرة ط ١ / ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩٨م والإسلام كبديل آثار زوبعة كبري ١٩٦ ع ٨٦ مجلة النور الكويتية . وهل حان الوقت لكي تشهد إسلاما أوربيا الأستاذ فهمي هريدي مجلة ع ٣٦٦.

(٢) الطريق إلى مكة ٧٦ .

(٣) انظر المفكر الألماني المسلم مراد هوفمان . مجلة الاقتصاد الإسلامي ٧٠ ع ٢١٣ شعبان ١٤١٩هـ ــ نوفمبر وديسمبر ١٩٩٨م .

بداية حياته . وربما كانت هذه الظروف هي التي دفعته للسفر خارج بلاده لاستكمال دراسته بعد أن أنهى تعليمه الأساسي .

وفي سنة ١٩٥٠ م ــ ١٩٥١م يمم هوفمان وجهه إلى نيويورك ــ أمريكا ــ حيث التحق بالكلية المتحدة في جامعة "يونيون كوليج" لدراسة علم الاجتماع والاقتصاد والحضارة الأمريكية[١] .

ويبدو أن نفس هوفمان كانت تواقة لدراسة القانون . فدرس القانون الأمريكي من هارفارد ١٩٦٠ م وظل يدرس حتى التحق بالمعهد الدبلوماسي والتدريب من عام ١٩٦٠ م إلى عام ١٩٦٣م[٢]

ولما كانت نفس صاحبنا تواقة لدراسة القانون ــ كانت تواقة باعتبار فطرتها إلى الزواج ، فقد تعرف على فتاة أمريكية تدعى اليزابيث آن جريفيث[٣] وتزوجها وهو في منتصف الامتحانات النهائية بكلية الحقوق بهارفارد . وعقد عليها في إبرشية هارفارد بواسطة قس من المؤمنين بوحدانية الرب والرافضين للتثليث[٤] ورزق منها بولد ــ وأنعم الله على الوالد ــ وأكرمه بالإسلام وكان

---

(١) انظر يوميات الماني مسلم د/ مراد هوفمان ١٧ ترجمة د/ عباس رشدي العماري مركز الأهرام للترجمة والنشر بالقاهرة ط ١/١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م وانظر كذلك الفائزون بجوائز وأوسمة تقديرية شهيرة مقال على شبكة الانترنت .
(٢) انظر الفائزون بجوائز وأوسمة تقديرية .
(٣) الطريق إلى مكة ٧٩ ــ م ــ س .
(٤) يوميات الماني مسلم ٢٥ .

ذلك عام ١٩٨٠ م ـ كما سيأتي ـ وظل الولد على مسيحيته[١] ـ كما توفيت أمه عام ١٩٧٥م[٢].

جـ ـ حياته العملية :

يتمتع هوفمان بقدر كبير من الذكاء والعبقرية مع هدوء واتزان أيضاً ـ وهذه الصفات النفسية مع مؤهلاته العلمية أهلته لتولي المناصب الهامة والحساسة في دولته ألمانيا ـ فقد عمل في إدارة الخارجية الألمانية من عام ١٩٦١م حتى عام ١٩٩٤م . وتخصص في مسائل الدفاع النووي[٣] وهو من أخطر المناصب داخلياً وخارجياً ـ وأثناء عمله بالسفارة الألمانية في الجزائر سنة ١٩٦٢م تعرف على الإسلام وعاشر المسلمين عن قرب حيث لاحظ تحمل الجزائرين لآلامهم ـ والتزامهم الشديد بالإسلام ـ وخاصة في صيام رمضان ويقينهم بأنهم سينتصرون وتحرر بلادهم ـ وأدرك هوفمان إنسانيتهم في اصدق صورها عندما تعرضت زوجته للإجهاض تحت تأثير الأحداث الجارية هناك[٤]. وتبرع لها سائق مسلم بدمه لاتفاق فصيلته مع فصيلتها وإنقاذ

---

(١) هذا الولد يدعي الكسندر وهو وحيد ويعمل بالتجارة في ألمانيا وأمنية والده أن يهديه الله للإسلام كما هداه ولذلك يقول " .. نعم ابني مشغول بأعماله التجارية إلا أنني موقن أن الله سيحقق لي أمنيتي " انظر هوفمان من متحدث باسم حلف الأطلس على داعية إسلامي ـ مجلة الأسرة حوار أجراه الأستاذ مرتضى عبد الله ٤٢ ع ١١٠ جماد الأولى ١٤٢٣ هـ .

(٢) انظر الطريق إلى مكة .

(٣) أنظر المفكر الألماني المسلم ـ مجلة الاقتصاد الإسلامي ـ م ـ س .

(٤) الطريق إلى مكة ٣٢ ويوميات ألماني مسلم ٣١ ، ٣٢ .

حياتها ــ فتأثر هوفمان بهذا العمل ــ الذي يجسد خلق الإسلام وشهامة المسلم ومروءته في أبسط صورها وأجمل معانيها .

وظل هوفمان يتقلد المناصب الهامة حتى كان أخر مناصبه مدير استعلامات الناتو في بروكسل من (١٩٨٣م ــ ١٩٨٧م) ثم ارسلته ألمانيا سفيراً لها في الجزائر ١٩٨٧م إلى ١٩٩٠م ــ ثم سفيراً لها في المغرب من عام ١٩٩٠م إلى ١٩٩٤م[١] .

ثم اعتزل العمل السياسي ــ وتفرغ للدعوة إلى الإسلام بعد أن من الله عليه به وهداه إليه .

د ــ إرهاصات سبقت إسلامه :

أول هذه الإرهاصات أو النبوءات كما يسميها هو ــ الحادث العجيب الذي وقع له ــ والذي لا ينجو منه أحد في الغالب ــ وكان في يونيو عام ١٩٥١م حيث اصطدمت السيارة التي كان يستقلها بسيارة أخرى يقودها بعض الثمالى ــ ونقل على أثر ذلك إلى المستشفى وعندما فحصه الأطباء وجدوا كسراً في فكه العلوي وقطعاً في شفته السفلى ــ وكسر تسعة عشر من أسنانه وانخلاع ذراعه اليمنى من مكانها ... وقد أجرى له الجراح جراحه أسعفته ــ وأضاف هذا الجراح بتحفظ وهو يحقنه بجرعة بورنجين " يا عزيزي إن المرء لا ينجو في مثل هذه الحوادث لعل الله قد ادخر لك شيئاً في المستقبل "[٢].

---

(١) المفكر الألماني المسلم ٧٠ والفائزون بجوائز وأوسمة تقديرية شهيرة .
(٢) انظر يوميات الماني مسلم ٢٠ ، ٢١ ــ وهكذا أسلم مراد هوفمان د/ عبد المعطي الدلاتي مقال على الشبكة صيد الفوائد .

وبعد تسعة وعشرين عاماً أي في عام ١٩٨٠م يقول هوفمان استطعت أن أدرك معنى هذا[١] ـ يعنى الإسلام هذا أول أمر .

والأمر الآخر ــ يتعلق بأحداث الجزائر في حرب تحريرها ضد فرنسا حيث البطولات النادرة ــ والشجاعة الفائقة ــ والسلوكيات الإنسانية القليلة .. تتعرض زوجة هوفمان للاجهاض وتكاد تفقد حياتها وتحسبا لما يحدث فقد اخبرت زوجها بنوع فضيلتها .

ويسمع حديثها السائق الجزائري ــ فيعرض عليها التبرع بدمه ــ في أتون الحرب لينقذ أجنبية على غير دينه[٢] . إنها الشهامة العربية والمروءة الإسلامية في أسمى معانيها . وهنا بدأ هوفمان يفكر وينظر في طبيعة هؤلاء الجزائرين المثيرين للدهشة ويقول بدأت أقرأ كتابهم ــ القرآن الكريم ــ ولم أتوقف عن قراءته منذ ذلك الحين ــ أي من عام ١٩٦١م حتى الآن"[٣].

وقد أثمرت هذه القراءة التي امتدت بين عام ١٩٦١م ــ أيام أحداث الجزائر إلى عام ١٩٨٠م ثمرة من أفضل الثمرات وأزكاها ــ وهو الإسلام .

(هــ) كيف أعلن هوفمان إسلامه ؟ ولماذا ؟

أسلم مراد هوفمان منذ ستة وعشرين عاماً ــ واتخذ لنفسه اسماً غريباً إلى جانب الألماني هو مراد ــ والذي يعني "المبتغي"

---

(١) يوميات الماني مسلم ٢١ .
(٢) الطريق إلى مكة ٣٢ ، ٣٣ .
(٣) الطريق إلى مكة ٣٣ .

ومعناه الواسع "الهدف" أي أعز أهدافي حياة وبلفريد هوفمان[١] ـ هو الإسلام .

وعن كيفية إسلامه ـ يذكر مراد هوفمان أن الله هو الذي هداه للإسلام ـ ولم يهتم أحد بذلك ولا حتى حين صرح هو بذلك أمام زملائه يوم أن كان مديراً لمكتب استعلامات حلف الأطلنطي حيث أكد لهم أن الحل الوحيد للخروج من الهاوية والأزمة التي تردت فيها الغرب هو الإسلام .

في الموقف الذي وقفت فيه المسيحية حائرة وعاجزة عن أن تقدم حلاً فعلياً أو مخرجاً عقلياً مما ترنح فيه الغرب من أزمات مختلفة ومشاكل معقدة .

وفي مؤتمر الناتو السنوي الذي يشترك فيه مديروا الإعلام بوزارة الدفاع ـ يقوم هوفمان بلمحة ذكاء ـ بعمل عرض تحليلي للمشاركين عن اتجاهات الرأي العام في المدى المتوسط .

وبعد كلام طويل في توصيف أزمة الغرب تساءل عما إذا كانت آليات ديموقراطيتنا تتمتع بالمرونة اللازمة لمواجهة المتغيرات ؟ أم أن الغرب قد يقع ضحية لما يتمتع به من مرونه ؟ ـ وإذا عجز مديروا الإعلام البواسل المتحلقون حول المائدة عن

(١) انظر التمهيد الذي قدم به الأستاذ محمد أسد كتاب يوميات الماني مسلم ١٣ والمفكر الألماني المسلم في حوار مع مجلة المعرفة ـ خيار الإنسان الآن الإسلام أو العلمانية ٢١ ع ٥٦ ذو القعدة ـ ويقال إن زوجته التركية "يولين" هي التي سمته بهذه التسمية كما صرح هو بذلك لقناة الجزيرة في قطر .

الإجابة فقد استولى عليهم صمت طويل حرج . حيث لم يعتادوا أن يجعلوا من التدهور الديني في الغرب موضوعاً رئيسياً لهم . واستجمع أحد المندوبين شجاعته وسأل عما إذا كانت هناك فرصة لحدوث صحوة رئيسية في الغرب ؟ وأجاب هوفمان أنه لا يرى هناك فرصة يمكن للكنائس المسيحية الحالية أن تنتهزها لاستعادة مصداقيتها بين معظم الشباب بل والناس جميعاً .. وهذا الجيل من الشباب يشعر بحاجته الملحة إلى مقومات أيديولوجية ودينيه ... ولا يستبعد أن يجد هذه الحاجة المسلحة في اعتناق دين غير أوربي مختلف تماماً . يروق للشباب حيث يجدون فيه ترياقاً شافياً من شرور المادية وتوثيقاً لعرب الأخوة وتخلصاً من الطبقة السلطوية الدينية ــ ونادراً بطبيعته على أن يكون دين الفطرة : أي الإسلام واعتبر المستمعون ما قاله بمثابة فرصة ــ بيد أنه لم يكن يمزح(١) ــ ولقد تبلورت فكرة هوفمان هذه إلى نظرية عرفت بنظرية "الإسلام البديل" ــ وعنون بذلك لأحد كتبه وسماه " الإسلام كبديل".

ويذكر هوفمان نصاً في كتاب " الطريق إلى مكة " يفهم منه أنه كان منجذباً إلى الإسلام كالمغناطيس وأنه ألف أفكاره ومبادئه كما لو كان قد عايشها من قبل ــ فيقول وهو يتحدث عن دوافع جماعة سبقوه إلى الإسلام قديماً وحديثاً أمثال أستاذه ــ ليوبالدفاس المعروف بمحمد أسد ــ وعبد الهادي كريستان " أما أنا فكنت لسنوات بل لعقود ــ منجذباً إلى الإسلام كالمغناطيس ــ لأني ألفت أفكاره ــ كما لو كنت قد عايشتها من قبل" (٢)

---

(١) انظر يوميات ألماني مسلم ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٢) الطريق إلى مكة ٣٠ .

وهذا الإنجذاب معناه توافق النفس السليمة والفطرة المستقيمة لدى هوفمان وما جاء في الإسلام . وذكر هوفمان ثلاثة أسباب رئيسية أو ثلاثة أحداث أساسية كانت وراء إسلامه ــ الأول : ذو طبيعة إنسانية ــ ويقصد بذلك أحداث الجزائر[١] وصمود الجزائريين في وجه الاحتلال الفرنسي . وخاصة موقف السائق الجزائري النبيل ــ كما تقدم ذلك في إرهاصات إسلامه .

والثاني : ذو طبيعة جمالية وفنية : ويقصد بذلك تأثره بالجمال والفن الإسلامي . وأنه كان مولعاً بالجمال منذ صباه ــ وتأثر بفن الباليه[٢] قبل إسلامه لفترة طويلة ــ ولكنه استبدل ذلك بالفن الإسلامي بعد إسلامه ــ واصبح يرى الأعمال الفنية للعصور : الأغريقي والروماني والقوطي .. لا تنفذ إلى داخله ولا تحرك عواطفه ولا مشاعره[٣] إن هوفمان متأثر إلى حد بعيد بالفن الإسلامي والزخرفة الإسلامية التي تكمن في الخط والأرابيسك ونقوش السجاد ــ وعمارة المساجد والمنازل والمدن . ويقول إنني أفكر كثيراً في أسرار إضاءة المساجد وفي بنائها الديمقراطي . وفي بناء القصور الإسلامية ــ الذي يوحي بحركة متجهة إلى الداخل بحدائقها الموحية بالجنة بظلالها الوراقة وينابيعها ومجاريها المائية ــ وفي الهيكل الاجتماعي الوظيفي المبهر للمدن الإسلامية القديمة "المدينة"[٤] ويضرب لذلك مثالاً بدمشق ــ واسطنبول ــ

---

(١) السابق ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .
(٢) له مؤلفات في فن الباليه ــ سنتحدث عنها في مؤلفاته .
(٣) الطريق إلى مكة ٣٦ .
(٤) السابق ٣٦ وراجع الإسلام كبديل ١٠٣ ــ ١٠٦ .

والقاهرة ــ وتونس ــ وفاس ــ ومكة والمدينة تقول الدكتور نعمات أحمد فؤاد " حاضرت في إحدى السنوات في جامعة واشنطن وكان موضوعي " الإسلام والفنون في البلاد الإسلامية " وإذا بي أفاجأ عند قراءة كتاب السفير الألماني الذي اعتنق قلبه الإسلام وعانقت روحه جوهره يقول " إن الدين الإسلامي يتمتع بالقدرة على ترجمة جوانب معينة من العقيدة إلى مبادئ جمالية ... وهو ما يمكن للمرء أن يشهده على سبيل المثال في ساحة قصر الحمراء في غرناطة أو في المساجد المميزة مثل التي توجد في قرطبة والقيروان والقاهرة ... ومنطقة الحرم في قلب مكة[١] .

وتتجلى فلسفة هوفمان في الفن الإسلامي بقوله " إن الفن الإسلامي لم يبدأ من فراغ ــ ولكنه مهر وصبغ فنون الأجناس المختلفة التي دخلت الإسلام . فهو ليس نتاج جنس أو منطقة ولكنه نتاج دين احتوى الأجناس والمناطق . ويوسع أي ناشئ أن يرى كيف أثر الفن الإسلامي بقانونه الخاص على العالم الغربي وخاصة بين القرنين العاشر والرابع عشر . يعبر الفن الإسلامي عن شعور ديني وأسلوب حياة بقدر ما يعبر عن عقيدة دينية وهذا مؤكد[٢] إن هذا الفن الإسلامي في نظر هوفمان ــ هو إفراز حضارة راقية رفيعة[٣] جاء بها دين راق رفيع جدير بأن يعتنق ويؤمن به.

---

(١) انظر مثال ولد الهدى فالكائنات ضياء د/ نعمات أحمد فؤاد بجريدة الأهرام ــ القاهرة ــ الأربعاء ١٤/٦/٢٠٠٠م .
(٢) الإسلام كبديل ١٠٥ ومثال د/ نعمات أحمد فؤاد السابق .
(٣) الطريق إلى مكة ٣٥ .

والثالث : ذو طبيعة فلسفية . ويقصد بذلك ــ ديانته المسيحية ومذهبه الكاثوليكي ــ فقد كان هوفمان على دراية تامة بالديانة الكاثوليكية وتاريخ شئونها من الداخل[١].

وعلى يقين تام من عدم وجود دليل بنفي وجود الله .. وحسم اعتقاده في وجوده . ولكن أي دين ؟ وأي عقيدة ؟ هل هي اليهودية أو المسيحية أو الإسلام ؟

يقول هوفمان " وجاءتني الإجابة من خلال تجربتي الثالثة التي تتلخص في قراءتي المتكررة لقوله تعالى ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [٢] .. وهذه الآية لا تعبر عن مبدأ أخلاقي ــ وإنما تتضمن مقولتين دينيتين تمثلان أساساً وجوهراً لفكر ديني هما :

١ ــ أنها تنفي وتنكر وراثة الخطيئة .

٢ ــ أنها تستبعد وتلغي تماماً إمكانية تدخل فرد بين الإنسان وربه وتحمل الوزر عنه .

والمقولة الثانية هذه تهدد بل وتنسف مكانة القساوسة وتحرمهم من نفوذهم وسلطانهم الذي يرتكز على وساطتهم بين الإنسان وربه وتطهيرهم الناس من ذنوبهم . والمسلم بذلك هو المتحرر من جميع قيود وأشكال السلطة الدينية . أما نفي وراثة الخطيئة وذنوب البشر فقد شكل لي أهمية قصوى لأنه مفرغ التعاليم المسيحية من عدة عناصر جوهرية مثل :

---

(١) السابق ٣٧ .
(٢) النجم آية ٣٨ .

ضرورة الخلاص بالتجسيد ـ الثالوث ـ والموت على سبيل التضحية .. وبدت لي المسيحية وكأنها تعود لترتكز في أصولها على أساطير متنوعة ومتعددة وتبين لي جلياً الدور الخطير والشرير الذي لعبه بولس الرسول ... من تغيير وتزوير التعاليم اليهودية[١].. ويصل هوفمان إلى مجمل القول فيقول " إنني بدأت انظر إلى الإسلام كما هو ـ بوصفه العقيدة الأساسية الحقة التي لم تتعرض لأي تشويه أو تزوير ـ عقيدة تؤمن بالله الواحد الأحد الذي " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " رأيت فيه عقيدة التوحيد الأولى التي لم تتعرض لما في اليهودية والمسيحية من انحراف ـ بل ومن اختلاف عن هذه العقيدة الأولى .. لقد وجدت في الإسلام أصفى وأبسط تصور لله ـ تصور تقدمي ـ ولقد بدت لي مقولات القرآن الجوهرية ومبادئه ودعوته الأخلاقية منطقية جداً حتى أنه لم تعد تساورني أدنى شكوك في نبوة محمد" [٢].

وهكذا كانت هذه الأسباب الثلاثة وراء دخوله في الإسلام واختياره له ديناً بديلاً عن مسيحيته تقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد " إن مقومات الإسلام الإنسانية ـ والثقافية والجمالية وراء اختيار هوفمان للإسلام "[٣].

(١) الطريق إلى مكة ٣٨ .
(٢) الطريق إلى مكة ٣٩ .
(٣) انظر ولد الهدى والكائنات ضياء مقال د/ نعمات أحمد فؤاد بجريدة الأهرام ـ الربعاء ١٤/ ٦ / ٢٠٠٠م .

وهذه المقومات في نظري هي قناعات هوفمان بالإسلام في الوقت الذي نجدها غير متوفرة أو تكاد تكون معدومة في المسيحية.

وأسجل هنا أن كتابا ألف تحت عنوان " الحمد لله ــ مسلم ذو أصول غربية " فيه وحيث اعتناق هوفمان للإسلام في " ألمان هداهم الله " [١] " وقد طبع في كولونيا عام ١٩٨٢م . والكتاب فيه وصف تفصيلي لاعتناقه للإسلام ومبررات ذلك ــ ولكنني لم أقف عليه ــ وأدعو الله تعالى التوفيق بالوقوف عليه ــ عسى أن يضيف جديداً وأن يكون فيه زيادة توثيق لما كتبناه . ونقد هوفمان للمسيحية وكونها لا تتفق مع العقل والنقل .

صرح به أكابر علماء اللاهوت الذين تحرروا من سيطرة الكنيسة ــ وبحثوا ذلك بأمانة علمية ونزاهة عقلية من أمثال هانز كونج[٢] ــ وغيره.

(١) انظر الطريق إلى مكة ١٦٥ .
(٢) هانز كونج ــ عالم سويسري وأستاذ علم الأخلاق والأديان بجامعة توبنجن الألمانية . وهو من المعارضين بشدة لفكرة صراع الحضارات ــ وصاحب كتاب الأخلاق العالمية والمسيحية والأديان العالمية ــ وطرق الحوار مع الإسلام والهندوكية والبوذية وهو مترجم عن الانجليزية وصدر عن دار النشر كولينز في لندن عام ١٩٨٧م وكتب أعمالا أخرى ــ مثل معصوم هل موجدان ؟ كاوراث كونج .. عمل مديرا للمعهد المسكوني بجامعة توبنجن ــ كما كان مستشارا للبابا يوحنا الثالث والعشرين انظر برهان جديد يتطلب قرارا ــ وإجابات لأسئلة تتحدى المسيحين في القرن الحادي والعشرين ــ بقلم جوشن ماكدويل دار الثقافة ــ د/ت ــ الشبكة .

وقد وزع هوفمان نقده للمسيحية في سائر كتبه ــ حتى سار ذلك من أبرز معالم فكره وهذا ما سنبينه في الفصل الثاني والثالث من هذا البحث .

وفي يوميات ١١ سبتمبر عام ١٩٨٠م والتي كتبها هوفمان في يومه يقول وهو يتحدث في رسالة فلسفية لتناول حقائق الإسلام ليبعث بها إلى ولده الكسندر في عيد ميلاده لتكون هداية له ــ وهدية حاولت منذ فترة من الوقت ــ وحتى الآن أن أضع على الورق بطريقة منهجية مستبسلاً من أجل المزيد من التحديد والإيجاز ــ كل الحقائق الفلسفية التي يمكن ــ من وجهة نظري ــ إثباتها دون أدنى شك منطقي ــ وكانت نتيجة نضال العمر هذا ضد فرص المرء المحدودة في الوصول إلى الحقيقة ــ هي هدية غير تقليدية لأبني الكسندر في عيد ميلاده[١]... وهنا قال له محمد أحمد رسول ــ المدير المصري ــ الألماني ــ لدار نشر " المكتبة الإسلامية بكولون ــ عندما عرض عليه مخطوط " درب فلسفي إلى الإسلام " " إن كنت مقتنعاً بما استخلصته فأنت مسلم[٢].

ويواصل هوفمان قوله " إن الإنسان السوي صاحب العقل السليم والفطرة المستقيمة لا يملك ببساطة الهروب من اتخاذ قرار بالإيمان " وأن خلق الكائنات التي توجد حولنا هو أمر واضح وأنه مما لا شك فيه أن هناك أعظم انسجام ممكن بين الإسلام والحقيقة الكلية .

---

(١) يوميات ألماني ٧٣ .
(٢) الطريق إلى مكة ٢٩ .

وهكذا ادركت ــ وقد هزتني الحقيقة ــ أنني قد أصبحت في خطوة وراء الأخرى بالرغم مني ودون أن أكون واعياً بذلك ــ مسلماً بمشاعري وفكري ــ ولم يبق سوى خطوة واحدة أخيرة وهي إعلان إسلامي رسمياً[١] ... وفي المركز الإسلامي بكولونيا وتحديداً في يوم ٢٥ سبتمبر عام ١٩٨٠م نطقت بالشهادتين " لا اله إلا الله ــ محمد رسول الله " وأخذت لنفسي من بين الأسماء الإسلامية اسم "مراد" وأصبحت منذ اليوم مسلماً وهكذا بلغت مرادي[٢] .

(و) صدى إسلام مراد هوفمان

عندما أعلن مراد هوفمان إسلامه تباينت المواقف في ذلك ما بين موافق لذلك ومخالف ومؤيد ومعارض وهذا أمر طبيعي وكان على رأس المعارضين الصحافة الألمانية وبعض الساسة والمفكرين من ذوي الاتجاه الأصولي المسيحي المتعصب ــ واتهموه بقلة العقل وعدم الفهم وانه بعد إسلامه لا يستطيع أن يمثل بلاده ــ إذ كيف يمثل مسلم بلداً مسيحياً كبيراً كألمانيا ؟ كما كان لإسلامه رد فعل على مستوى ألمانيا ــ نظراً لأهمية موضعه وحساسيته من ناحية ــ ولخوفها وفزعها من كل ما هو إسلامي ــ هذا الخوف والفزع التاريخي يصل إلى درجة اللامعقول وسرعان ما يتحول وبسهولة شديدة إلى عداء سافر كما يقول هوفمان[٣] .

---

(١) يوميات ألماني مسلم ٧٣ .
(٢) السابق ٧٤ .
(٣) الطريق إلى مكة ١٤٧ .

وأثارت الصحافة الألمانية عاصفة ضده وكتبت عناوين مثيرة مثل "دبلوماسي ألماني يروج للقرآن" و "سفير ألماني يصرخ : يجوز ضرب الزوجات" وذلك بعد أن تكلم السفير عن كتابه "الإسلام كبديل" على شاشته الفضائية الألمانية الأولى .

وشنت نائبة الحزب الاشتراكي الديمقراطي "هرنادو بيلر جملين" حملة ضده على صفحات جريدة "بيلد أم زونتاج" وهي جريدة رخيصة .. وطالبت وزير الخارجية الألماني جينشر بالإطلاع على هذا الكتاب وصرحت بأنه لم يعد مقبولاً أن يمثل هذا الرجل ألمانيا .

وقالت السيدة إن هذا الكتاب ليس إلا مرافعة يشيب لها الولدان ضد العالم الغربي .. وأخذت الجريدة تسب السفير وزوجته التركية المسلمة . وقالت : إن زوجته كانت تعمل عارضة أزياء "مانيكان" وأنها شاركت في فيلم "جيمس بوند" "قبلات حب في موسكو" ووصفته بأنه صديق الأئمة وأنه أصولي .

وشارك التلفزيون الألماني في هذه الحملة فأرسل إحدى مذيعاته لمقابلة السفير الألماني ــ الذي تجرأ واعتنق الإسلام . وكان مما أثار حفيظتها وغضبها أنها شاهدت السفير وهو ساجد يؤدي الصلاة فكتمت صرخة مكتومة في قلبها بينما أخذت تحدث نفسها ــ هل من المعقول أن ألمانيا في طريقها كي تصبح دولة مسلمة[1] .

(١) انظر يوميات ألماني مسلم مقال د/ عبد الودود شلبي ٧٤ لمجلة ورع الإسلام ــ ع ٣٢ رمضان ١٤١٧هـ يناير ١٩٩٧م .

كما شاركت مجلة ديرا شبيجل الأسبوعية الألمانية الشهيرة في هذه الحملة المغرضة يقول هوفمان أثناء حملة الاتهامات التي وجهت لي لم يكن هناك حاجة أو ضرورة لسماع دفاعي ــ لأنني كنت قد ارتكبت الجرم الأفظع بل وصرحت به[١] ــ يعني الإسلام.

وحتى الأم الذي يفترض أن تقف بجوار ابنها تسانده وتؤازرة آثرت مسيحيتها عليه ــ وكان إسلامه شاقاً وعسيراً عليها ــ وحاول هوفمان جاهدا أن يستعطفها ويكسب ودها . وأرسل إليها رسالة يقول لها فيها " يرى المسلم أن المسيح أحد الرسل اليهود وهو أعظمهم ــ المعجزة التي ولدتها العذراء . ولذلك فالفارق بين الديانتين كيفما يختار المرء ضئيل جداً وعظيم جداً . واختارت أمي أن تراه عظيماً جداً "[٢] .

وعندما تلقت الأم هذه الرسالة أصرت على موقفها وقالت " ليبق عند العرب "[٣] .

وإذا كانت الأم قد أصرت على موقفها فقد أصر هو الآخر على موقفه ــ ولئن كانت الأم قد ضحت بابنها في مقابل دينها ــ

(١) الطريق إلى مكة ١٥٨ وجريدة العالم الإسلامي ــ الكويت ــ في الحوار الذي أجراه عبد الرحمن سعد مع السفير مراد هوفمان ص ١٠ ع ١٦٦٨ الجمعة ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٠م.
(٢) الطريق إلى مكة ١٤٣ وكيف أخبر أمي ــ مراد هوفمان ــ مجلة الإسلام بيونج ع ٥ عام ١٩٨٥م والحديث عن مشكلات المسلمين الجدد مع عائلاتهم .
(٣) الطريق إلى مكة ١٥٦ وكيف أسلم مراد هوفمان د/ عبد المعطي الدلاتي مقال على الشبكة .

مسيحيتها ــ فقد ضحى بها الابن في مقابل دينه ــ إسلامه ــ قال تعالى ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ [1].. الآية.

وإذا كان هذا هو موقف من عارضوه وشهروا به فهناك من أيدوه وناصروه ــ وبذلك تحولت المحنة في حقه إلى منحة وكان إسلامه نصراً للإسلام والمسلمين كما يقول د/ عبد الودود شلبي[2] ــ ولما وجدوا تمسكه وإصراره على دينه الجديد تركوه وشأنه باعتبار ذلك من الحريات الشخصية ــ فكل إنسان له الحرية في اعتناق ما يشاء من الأديان . يقول هوفمان " ولم يمثل لي شخصيا اعتناق الإسلام مشكلات بين عائلتي[3] وأصدقائي وزملائي ... فلم أتعرض للمعاملة كمخرق يمر بأزمة منتصف العمر . بل على النقيض فبعد إطلاعهم على أولى كتاباتي الإسلامية التي نشرت مثل " الطريق الفلسفي إلى الإسلام " و " دور الفلسفة الإسلامية " انفتح مجال حوار ومناقشة واسع النطاق حول موضوعات مثل " الله في الإسلام ومقارنته بمفهوم الثالوث المسيحي "[4] .

ويقول " لم أتعرض كذلك في عملي لأي مضايقات . ولم يلحق بي أذى بسبب اعتناقي للإسلام . فلقد قلدني رئيس ألمانيا د/ كارل كارستن في عام ١٩٨٤م .. وسام الاستحقاق كما قامت

---

(١) لقمان آية ١٥ .
(٢) انظر يوميات ألماني مسلم د/ عبد الودود شلبي ٧٨١ ــ م ــ س .
(٣) باستثناء أمه انظر الطريق إلى مكة ١٥٦ وبعض المسئولين والمثقفين والصحفيين كما تقدم .
(٤) انظر الطريق إلى مكة ١٤٣ .

وزارة الخارجية بتوزيع كتابي " يوميات ألماني مسلم " على سفاراتها في البلدان الإسلامية ليكون بمثابة الدليل والمرشد لأعضائها كما تناول Wolfgang Gwter Lerch الكتاب بالمناقشة في جريدة فرانكفورت الجمانية عام ١٩٨٦م في مقال بعنوان "ألماني مسلم ــ مذكرات دبلوماسي حول تحوله من ديانة إلى أخرى[١] .

وأما بالنسبة للادينيين ــ العلمانيين ــ فلم تواجهني أي مشكلات معهم بعد اعتناقي للإسلام ــ فلقد اقتنع هؤلاء في أعماقهم بأن الدين مسألة شخصية ومن أدق خصوصيات المرء[٢].

ويسجل مراد هوفمان ما حدث بعد إسلامه ــ كصدى له ــ في مدينة بون عام ١٩٨٣م من نصر للإسلام فيقول " قام أستاذ بروتستانتي في أصول الدين وهو الدكتور شفارتستاو[٣] بكتابه مؤلفه " القرآن دليل المسيحيين" شتونجارت ١٩٨٢م والذي اعترف فيه بصدق القرآن عندما يتعارض مع الكتاب المقدس .. وقد أدى به هذا إلى أن يؤكد أن القرآن صحيح ووحي غير مختلف ..

---

(١) السابق ١٤٤ .
(٢) السابق ١٤٦ .
(٣) باول شفاوتستا وألماني بروتستانتي له كتاب يسمى علوم القرآن للمسيحيين وقد سماه هوفمان بالاسم المذكور . ويذكر باول في هذا الكتاب ما في القرآن من معلومات صحيحة عن المسيحية الأولى . انظر الاستشراق ومنحهية النقد عند المسلمين المعاصرين د/ محمد السيد الشاهد ــ مقال على الشبكة .

وبإيجاز فإن شقاوتسناو اهتدى إلى الإيمان بأن الإسلام ــ هو أول دين وأول عقيدة للتوحيد ومن ثم يعد أقدم ديانة وأكثر الديانات ثباتا . " وإذا لم يكن هناك أي شيء آخر فإن هذا كان كافياً لجعل هذا الأستاذ المسيحي يفهم المسلم على حقيقته ــ كما أن شفارتستا لم يقبل بطبيعة الحال عقيدة التثليث التي تتضمن اتحاد المسيح اتحاداً مادياً بالرب وفي هذا يقول " إن يسوع الذي عرفه التاريخ لا يمكن أن يتسامح في تأليه شخصه " .

وفي رأي هذا الخبير أن العهد الجديد قد تعرض للتحريف في هذا الصدد من خلال الانحراف في تفسيره إن لم يكن تزويره . هل كان يمكن أن يحدث للإسلام ما هو أفضل من ذلك هذا العام "[1] ولم أقف على طبيعة العلاقة بين هوفمان وشقاوتسنا . وسواء كانت سياسية أو ثقافية سوى كونهما ألمانيين ــ وربما تأثر الثاني بإسلام الأول ــ فقال ما قال ــ واعتبر هوفمان ذلك نصراً للإسلام عام ١٩٨٣م .

وفي لقاء فكري عقد في مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ــ شارك فيه نخبة من المفكرين والمثقفين أشادوا فيه بكتاب هوفمان "الإسلام كبديل" وقالوا : أشهر إسلامه فأنصف الاقتصاد الإسلامي[2] وذلك بشرح حقيقة الاقتصاد الإسلامي ومزاياه وما يقدمه من حلول لمشكلات الاقتصاد العالمية .

---

(١) يوميات ألماني مسلم ١٢٢، ١٢٣ ومقال د/ عبد الودود شلبي ٧٨ ، ٧٩ م ـــ س .

(٢) انظر مجلة الاقتصاد الإسلامي في لقاء فكري ضم مجموعة من المفكرين د/ جعفر عبد السلام ود/ مصطفى الشكعة وآخرون ٣٢ -٣٦.

كما أن إسلام هوفمان ـــ وكتابته عنه ـــ كان سبباً في إسلام عدد من الناس يقول " احمد الله تعالى على أن وفقني لأن تكون كتبي سبباً في إسلام عدد من الناس وأعرف منهم ستة أشخاص قالوا لي إنهم تأثروا في اتخاذ قرارهم بالإسلام بما كتبه عنه ـــ والله هو الهادي سبحانه "(١)

ز ـــ مؤلفات مراد هوفمان ومشاركاته العلمية :

ألف مراد هوفمان بعد إسلامه مجموعة من المؤلفات القيمة تسير كلها في اتجاه واحد هو خدمة الإسلام وقضايا المسلمين وهذه المؤلفات يربطها خيط فكري واحد في حقيقتها وجوهرها . كأنها تمثل وحدة فكرية لا انفصام لها .

فكتابه الأول : " الإسلام كبديل " جعله حلاً واقعياً وصحيحاً بديلاً للرأسمالية والشيوعية التي انتشرت واستشرت في الغرب فأصابته بالعلل والأمراض . ويأتي بعد ذلك كتابه الثاني : " الإسلام في الألفية الثالثة . ديانة في صعود " وهو تكميل لفكرة الكتاب الأول . وكأنه يريد أن يقول للغرب . إذا كان الإسلام هو البديل . فإنه ليس ديناً جامداً ولا متحجراً وإنما هو دين يناسب البشرية جمعاء في جميع مراحلها في الماضي والحاضر والمستقبل . فهو دين صالح لكل زمان ومكان . ولذلك يقبل عليه البشر . فهو ديانة في رقي دائم وصعود مستمر .

---

(١) انظر الإسلام كبديل أثار زوبعة كبرى ٨٦ مجلة النور الكويتية . م ـــ س .

ويأتي بعد ذلك كتابه الثالث وهو " الإسلام عام ٢٠٠٠م " ليضع فيه بعض تصوراته عن مستقبل الإسلام وما يحدث له . ورابع كتبه وهو " الطريق إلى مكة " وتستطيع أن تقول عنه بإيجاز أنه الطريق إلى الإسلام . وهو كذلك بالفعل . وفيه يؤكد هوفمان على حقيقة الإيمان كما يعيشها ويعايشها ويحاول أن يساعد على إدراك القوة التي يستمدها المسلم المؤمن من دينه . وكيف نستطيع أن نسمو به . ويساعد كذلك على تبين الأفق الذي يمكن أن يصل إليه العالم الإسلامي عند تمسكه بهذا الدين في حياته اليومية .

وخامس كتبه وهو " خوار الذات والأدمغة المستعمرة " ويستعرض فيه هوفمان بعض المسارات الفكرية الرئيسية ويختمه باستعراض الفكر الإسلامي ليبين أن الإسلام هو الإجابة والحل . ولذلك عنون الجزء الثالث منه بقوله " الإسلام الإجابة والحل " فأكد بذلك فكرة الكتاب الأول .

ويأتي كتابه السادس وهو " يوميات ألماني مسلم " ليوضح فيه مسيرته التي أوصلته للإسلام وهدفه للإيمان بدين الله الحنيف . وإنه ليس مجرد يوميات أو ذكريات أو خواطر . وإنما تسجيل للمواجهات التي قادته للإسلام وزادته إيماناً به .

كان هذا هو الخيط الفكري الذي سار فيه مراد هوفمان .

أما مؤلفاته بالتفصيل فهي كالتالي :

١ ــ الإسلام كبديل وقد ترجمة الأستاذ عادل المعلم وطبعته دار الشروق بالقاهرة ــ وظهرت طبعته الأولى سنة

١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م . وهي التي اعتمدت عليها . ويشير الأستاذ يوسف مزاحم وفراس فهوجي في ترجمتهما لكتاب هوفمان " في تطور الشريعة الإسلامية "[1] أن هذا الكتاب نشر عام ١٩٩٣م وترجمه د/ غريب محمد غريب ــ ونشرت هذه النسخة مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات ــ ميونخ ــ وكانت طبعته الأولى في التاريخ المذكور .

٢ ــ الإسلام في الألفية الثالثة ــ ديانة في صعود : وقد ترجمه الأستاذ عادل المعلم والأستاذ يس إبراهيم وطبعته دار الشروق أيضاً ــ وقد ظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م وهذه الطبعة هي التي اعتمدت عليها ــ وله طبعة أخرى ــ هي طبعة ــ مكتبة العبيكان بالسعودية ــ وهي أحدث من سابقتها وتاريخها ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م . وليس بينهما أي فرق يذكر .

٣ ــ الإسلام عام ٢٠٠٠م وقد ترجمه الأستاذ عادل المعلم ونشرته مكتبة الشروق بالقاهرة . وظهرت الطبعة الأولى منه في نوفمبر عام ١٩٩٥م وهي التي اعتمدت عليها ــ وله طبعة أخرى ــ هي طبعة مكتبة العبيكان بالسعودية وتاريخها ٢٠٠٣م .

٤ ــ الطريق إلى مكة وطبعته دار الشروق بالقاهرة أيضاً وظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م .

---

(١) انظر في تطور الشريعة الإسلامية د/ مراد هوفمان تقديم يوسف مزاحم وزميله ١٨ . م ــ س .

٥ ــ يوميات ألماني مسلم ــ وقد ترجمه د/ عباس رشدي العماري وطبعه مركز الأهرام للترجمة والنشر بالقاهرة ــ وظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م كما ظهرت له طبعة أخرى هي طبعة مكتبة العبيكان بالسعودية وترجمة د/ محمد سعيد دياس ــ وقد اعتمدنا عليهما معاً[1] .

٦ ــ خوار الذات والأدمغة المستعمرة ــ وقد ترجمه الأستاذ عادل المعلم والأستاذ نشأت جعفر وطبعته مكتبة الشروق الدولية ــ القاهرة وظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

٧ ــ في تطور الشريعة الإسلامية ــ وقد ترجمه الأستاذ يوسف مزاحم . وفراس فهوجي . وقدم له الأستاذ عبد الواحد علواني . وطبعه مركز الراية للتنمية الفكرية السعودية ــ وسوريا ــ دمشق ــ وظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣ م وقد ذكر في هذا الكتاب عدداً من الموضوعات الهامة والحساسة معاً . كتعدد الزوجات ــ والحجاب وشهادة المرأة ــ وحقها في الانتخابات والترشيح ــ وختان الإناث ــ وحد الردة ــ والديمقراطية وحقوق الإنسان ــ والأقليات ــ وأهل الذمة ــ والجهاد وموقف الشريعة الإسلامية من ذلك كله بمنظوره هو ــ

(١) الفرق بين الطبيعتين أن الأولى ينتهي منها تاريخ الأحداث التي سجلها هوفمان عند عام ١٩٨٦م والثانية ينتهي تاريخها عام ٢٠٠٠م وجعل عنوانها " الرحلة إلى الإسلام ــ يوميات دبلوماسي ألماني ــ وبذلك تعتبر الثانية تكميل للأولى .

ومعظم هذه الموضوعات ذكرها في كتابه الإسلام ـــ كبديل وغيره ـــ ولكن الذي نسجله عليه هنا ـــ عدوله عن أرائه في بعض القضايا التي ذكرها في كتابه الإسلام كبديل ـــ وخاصة فيما يتعلق بشهادة المرأة حيث يبرز في الكتاب المذكور سبب اعتبار شهادة امرأتين كشهادة رجل واحد غير أنه عاد ورفض ذلك في كتابه " تطور الشرعية الإسلامية " معتبراً شهادة المرأة كافية وخاصة في الأمور الاختصاصية بل وملزمة[١] والأمر الثاني الذي نسجله هنا أيضاً أنه أكد آراءه وبشكل واضح فيما يتعلق بحكم المرتد ـــ ورجم الزاني ـــ والحجاب وغيرها مع ذكر أدلة وشواهد أخرى مختلفة بعض الأحيان عما ذكره في كتابه ـــ وكأن تطور الشريعة الإسلامية ـــ تطور في أفكاره وآرائه هو ـــ ولو عبر بذلك لكان أفضل وأنسب .

٨ ـــ نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث . وطبعته مكتبة العبيكان بالسعودية وظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٤٢٤ هـــ ـــ ٢٠٠٣م والحقيقة أن مراد هوفمان لم يؤلف كتاباً بهذا العنوان ـــ والكتاب المذكور عبارة عن سلسلة من المحاضرات ألقاها في أماكن مختلفة كان معظمها : إحتفالا بذكرى كرم مراد[٢]

(١) انظر تقدم الأستاذ عبد الواحد علواني لكتاب تطور الشريعة الإسلامية لمراد هوفمان .

(٢) كرم مراد Khuron Muzad ولد عام ١٩٣٢ م وهو أحد قادة الحركة الإسلامية وصاحب رؤية فذة ـــ نذر حياته لدراسة ونشر تعاليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم ـــ ولعب دوراً أساسياً في تشكيل مسار واتجاه الصحوة الإسلامية في العصر الحديث ـــ شغل منصب مدير علم المؤسسة الإسلامية بالمملكة المتحدة ـــ والف أكثر من خمسة وثلاثين

ثم جمعت تحت العنوان المذكور ــ ويبدو أن الذي جمعها معهد الدراسات السياسية في باكستان وبيان هذه المحاضرات كالتالي :

أ ــ صراع الحضارات نقد تحليلي ــ وقد ألقاها هوفمان في لاهور في ٢٠٠٠/٢/٢٥م ويقدم فيها نقداً تحليلياً رائعاً لنظرية فرنسيس فوكوياما لنهاية التاريخ وصموئيل هنتنجتون ــ صراع الحضارات .

ب ــ إجابة على سوء فهم الغرب للإسلام ــ وقد ألقاها هوفمان إحياءً لذكرى كرم مــراد في إســـلام أباد باكستان في ٢٠٠٠/٢/٢٤م ويذكر في هذه المحاضرة المفاهيم الخاطئة التي وقع فيها الغرب عن الإسلام . ويرد على هذه المفاهيم رد خبير هضم الثقافة الغربية والإسلامية على السواء .

ج ــ الإسلام عقيدة المستقبل ــ وقد ألقاها هوفمان أيضاً إحياءاً لذكرى كرم مراد في كراتشي ٢٠٠٠/٢/٢٧م ويتتبع هوفمان في هذه المحاضرة الديانات ليصل في النهاية إلى المقارنة بين الإسلام والمسيحية مبيناً أن الثانية أصابها التزييف والتحريف واعتراها التغيير والتبديل ــ وأصبحت غير قابلة للإصلاح ــ ولذلك انصرف معظم الغربيين عنها في الوقت الذي قدم فيه الإسلام ــ ومازال يقدم للإنسان الكثير والكثير ــ وما علينا إلا أن

كتابا ورسالة بالأوربية والإنجليزية كما شغل منصب رئيس تحرير مجلة ترجمان القرآن ــ ومجلة مراجعة كتب العالم الإسلامي توفى عام ١٩٩٦م . انظر ترجمته في نهاية كتاب نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث ١٥٥ .

١٠ ــ دور الفلسفة الإسلامية ــ وقد أشار هوفمان إلى كتابه هذا في كتابه " الطريق إلى مكة "[١] وقال إن هذا الكتاب والسابق عليه من أوائل كتاباتي[٢] ــ والكتاب مطبوع ولم أقف عليه حتى كتابة هذا البحث .

١١ ــ ترجمة القرآن الكريم ــ وقد استفاد فيها من معظم التراجم التي سبقته ــ والتي تزيد عن خمسة عشر ترجمة[٣] . وحاول في هذه الترجمة قدر جهده أن يتلافى الأخطاء التي وقعت في معظم الترجمات التي سبقته ــ بسبب إسلامه الذي أكسبه علماً ومعرفة كبيرين ــ وقد خرجت ترجمته الألمانية فسدت فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية وانتفع بها أهل الشرق والغرب معاً ــ

هذه هي الكتب التي ألفها بعد إسلامه ــ أما التي ألفها قبل إسلامه ــ فهي :

١ ــ البالية الموضوعي وغير الموضوعي .

٢ ــ الجمال والرقص ــ أسس جماليات البالية .

والكتاب الثاني له علاقة بالأول حسبما يظهر من عنوانهما .

أما مقالاته وأبحاثه ومحاضراته فكثيرة وبيانها كالتالي :

١ ــ مشكلات المسلمين الجدد مع عائلاتهم " كيف أخبر أمي " مقال في مجلة الإسلام ميونخ ألمانيا ع ٥ عام ١٩٨٥[٤].

---

(١) الطريق إلى مكة ١٤٣ .
(٢) السابق ١٤٣ ومجلة النور الكويتية ص ١٥ ع ١١٢ سنة ١٩٩٤م .
(٣) انظر الطريق إلى مكة ١٦٧ ، ٩٩ .
(٤) الطريق إلى مكة ١٤٣ ، ١٧١ .

نعرض الإسلام عرضاً سليماً كوسيلة رئيسية لشعار المجتمع الغربي والحضارة الغربية كدواء ثمين لمعظم الكوارث التي أوشكت أو كادت أن تدمر الغرب .

د ـ التحدي الفكري للحضارة الإسلامية : وهي محاضرة ألقاها هوفمان في معهد الأبحاث الإسلامي بجامعة إسلام أباد العالمية ولم يحدد تاريخها . وقد تحدث فيها عن التحديات الفكرية القديمة والحديثة التي تجابه الحضارة الإسلامية وتعترض طريقها .

هـ ـ أسئلة وأجوبة ـ وهي عبارة عن أسئلة طرحت على هوفمان أثناء الندوة التي أقامها معهد الدراسات السياسية إحياءً لذكرى كرم مراد : وأجاب عنها ـ وهي تدور حول علاقة الإسلام والغرب ـ وأحوال المسلمين بشكل عام . والمرأة المسلمة بشكل خاص[١].

٩ ـ درب فلسفي إلى الإسلام : وهو عبارة عن بحث صغير مكون من اثنتي عشرة صفحة ـ ويحدد فيه هوفمان بشكل حازم ما يراه فلسفيا حقاً مما جمعه على مر السنين ليقنع به ولده الكسندر للدخول في الإسلام .. والكتاب طبع أكثر من مرة . وظهرت الطبعة الألمانية الثالثة في ميونخ سنة ١٩٩٧م وإما الطبعة الإنجليزية فقد ظهرت في كولونيا سنة ١٩٨٣م[٢]

---

(١) ويلاحظ أنه لا تناسب بين الموضوعات الموجودة داخل الكتاب وعنوانه الخارجي ـ هكذا يبدو لي ـ وإن كانت هناك مناسبة فهي بعيدة .
(٢) انظر الرحلة إلى الإسلام مراد هوفمان ترجمة د/ محمد سعيد الباسي هامش ١ ص ٧٥ والطريق إلى مكة ٢٩ .

٢ ــ الإسلام والفضيلة ــ مقال في مجلة الإسلام ــ ميونخ ألمانيا ع ٣ عام ١٩٨٤م [١].

٣ ــ الإسلام في أسبانيا نموذج يصلح لأوربا ــ وهو مقال منشور في مجلة الإسلام ميونخ ع ٤ عام ١٩٩٦م [٢].

٤ ــ الحوار المسيحي المسلم ــ بحث منشور في مجلة الإسلام ميونخ ع ٨ عام ١٩٨٦م[٣].

وأما محاضراته التي جاب بها العالم شرقاً وغرباً فكثيرة أيضاً وقد بلغت ١٤ محاضرة ألقاها في الفترة ما بين منتصف عام ١٩٩٤م ومنتصف عام ١٩٩٩م . وتدور كلها حول موضوعات إسلامية في تسع بلدان عربية وتسع أخرى إسلامية[٤].

" ندواته ومؤتمراته "

حضر هوفمان ما يزيد على ثلاثين ندوة ومؤتمراً في بلاد أوربية وإسلامية ــ كان الإسلام فيها هو الموضوع الرئيسي[٥].

" أشرطة فيديو "

سجل مراد هوفمان مجموعة من أشرطة الفيديو فيها محاضرات عن الإسلام ألقاها في بلاد مختلفة منها :

(١) الإسلام كبديل ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ٢١٩ .
(٣) الطريق على مكة ١٧١ .
(٤) انظر الإسلام في الألفية الثالثة ١٤ .
(٥) السابق ١٤ .

أ ــ رحلة إلى الإسلام ــ ومدته ساعة ــ مركز المعلومات الإسلامية كاليفورنيا .

ب ــ الإسلام والغرب ــ اكتشف الإسلام ــ المنامة البحرين.

ج ــ مفاهيم جديدة في الألفية الجديدة ومدته ساعة في كاليفورنيا[١].

" مشاركاته وإسهاماته "

كان لمراد هوفمان مشاركات ومساهمات كثيرة ومنتظمة منها:

أ ــ مجلة موسوعة المسلم ــ ماركفيلد ــ آل ــ آي ــ انجلترا .

ب ــ دراسات إسلامية " إسلام آباد " باكستان .

ج ــ المجلة الأمريكية للدراسات الاجتماعية الإسلامية ــ أمريكا .

د ــ الإسلام " ميونخ ألمانيا "[٢]

كانت هذه مؤلفات هوفمان ومشاركاته العلمية وقد ترجم معظم هذه المؤلفات إلى الإنجليزية والفرنسية .

(جـ) الأوسمة والجوائز التي حصل عليها مراد هوفمان :

حصل هوفمان على الكثير من الأوسمة والجوائز العديدة من دول مختلفة ــ قبل إسلامه وبعده تكريماً له وتتويجاً لأعماله التي قام بها ــ من ذلك :

(١) الفائزون بجواز وأوسمة تقديرية شهيرة ــ مقال على الشبكة .
(٢) الفائزون بجوائز وأوسمة تقديرية شهيرة .

أ ـ صليب الاستحقاق الاتحادي من ألمانيا .

ب ـ وسام الاستحقاق في فبراير عام ١٩٨٤م ـ أي بعد إسلامه بثلاث سنوات ونصف تقريباً ومنحه إياه الرئيس الألماني د/ كارل كارستن[١] .

ج ـ وسام الاستحقاق من إيطاليا .

د ـ وسام الاستحقاق من مصر في الفنون والعلوم من الطبقة الأولى ـ وقد منحه إياه الرئيس مبارك ـ وهو لا يمنح إلا لكبار الشخصيات التي لها دور واضح وإسهام بارز في خدمة العلوم الإنسانية والإسلامية .

هـ ـ حصل على جائزة الفنون الإسلامي عام ١٩٩٨م من مركز المعلومات الإسلامي " لوس انجلوس " أمريكا .

و ـ كرمته المغرب أثناء عمله سفيراً وأعطته الوشاح العظيم[٢] وهو لا يمنح إلا لكبار الشخصيات التي يكون لها دور بارز على الصعيدين الدولي والعالمي .

(ط) إقامته وعمله الحالي :

اعتزل هوفمان الحياة السياسية والعمل الدبلوماسي منذ صيف عام ١٩٩٤م[٣] وتفرغ للدعوة الإسلامية بالبحث والتأليف والندوات والمؤتمرات والمقالات في الصحف والمجلات ـ وراح يجوب

---

(١) الطريق إلى مكة ١٤٤ .
(٢) الفائزون بجوائز وأوسمة تقديرية شهيرة .
(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ١٤ .

البلاد شرقاً وغرباً في سبيل نشر الدين وإعلاء كلمة الحق ــ للناس جميعاً دون كلل أو ملل .

يقول هوفمان متحدثاً عن نشاطه الدعوي ... وساعد على ذلك أنني منذ اعتزالي من عملي كدبلوماسي في صيف عام ١٩٩٤م اتجول كمحاضر متنقلاً دون فترات راحة تذكر ــ في الغرب والشرق ــ من هلسنكي إلى كوالمبور ــ من الرياض إلى لوس انجلوس ــ ومن الخرطوم إلى ليبزج في ألمانيا[١] ويعلل ذلك بقوله " حتى أساعد في شرح كل جانب للجانب الآخر " " الغرب والشرق" ولكي أقيم جسوراً من التفاهم بينهما ــ ولأساهم في إزالة مشاعر العداء التي يكنها كل طرف للطرف الآخر.. "[٢]

وفي حوار أجراه الأستاذ مرتضى عبد البديع مع مراد هوفمان نشرته مجلة الأسرة يقول : مراد هوفمان يتحول من متحدث باسم الأطلسي إلى داعية إسلامي " ويحكي عنه قوله " لقد آثرت التفرغ لإعداد دراسة حول مستقبل الإسلام ــ والحمد لله اتخذت طريقها للترجمة العربية وسأتبعها بترجمة جديدة ستكون بعنوان " الطريق على مكة والمدينة المنورة " وستكون قريبة الشبه بكتاب محمد أسد الذي تعلمت منه الكثير ــ وفي تلك الدراسة أوضحت كيف يدعو المسلمون إلى إسلامهم ؟ وما هي الصعوبات التي تواجههم وجدوى الحوار مع المسيحيين وغيرهم[٣].

---

(١) السابق ١٤ .
(٢) السابق ١٤ .
(٣) انظر حوار الأستاذ مرتضى عبد الله الذي أجراه مع مراد هوفمان في مجلة الأسرة ٤٢ ع ١١٠ عام ١٤٢٣هـ .

ويقيم هوفمان الآن في اسطنبول مع زوجته التركية المسلمة ــ وقد تزوجها عام ١٩٧٧م حسب الشريعة الإسلامية ووفقاً للقوانين التركية ــ ولكن كيف تزوجها في هذا التاريخ وهو لم يسلم إلا عام ١٩٨٠؟[١] .

ويبدو أنه أسلم عام ١٩٧٧م وقبله بقليل ــ وكان ذلك سراً ثم أعلنه رسمياً في المركز الإسلامي بكولونيا عام ١٩٨٠م ــ وإلا فالإسلام يحرم زواج المسيحي من المسلمة قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [٢].

وتدعى هذه الزوجة " يوليين " وكانت تعمل بالأوركسترا السيمفوني لدار الأوبرا[٣] كعازفة لآلة الهارب ــ وإلى جانب ذلك تعمل بالتدريس في الكونسرفاتوار .

وقد هوجمت هذه السيدة بسبب إسلام زوجها والكتاب الذي ألفه " الإسلام ــ كبديل " من الصحافة الألمانية Bildon Sonntag ببلد أم سونتاج . وأخذت هذه الجريدة تسب السفير وزوجته وتتهمها لكونها عارضة أزياء وإنها شاركت في فيلم " جيمس بوند " قبلات حب في موسكو[٤] .

---

(١) انظر يوميات ألماني ٧٣ ، ٧٤ والطريق إلى مكة ٩٥ .
(٢) النساء آية ١٤١ .
(٣) الطريق إلى مكة ١١٠ .
(٤) يوميات ألماني مسلم إعداد د/ عبد الودود شلبي ٧٤ .

ومع كونها تعمل وزوجة سفير مرموق فإنها تجيد أعمال المنزل وتعيش حياة اجتماعية وأسرية وتمارس نشاطها النسوي بكل متعة وسعادة[١] .

(١) الطريق إلى مكة ١١٠ .

الفصل الثاني

نقد هوفمان لمصادر العقيدة المسيحية

ويشتمل على مبحثين

الأول : نقده للعهد الجديد " الإنجيل"

الثاني : نقده للمجامع المسيحية

المبحث الأول

نقده للعهد الجديد " الإنجيل "

وجّه هوفمان نقده للعقيدة المسيحية ومصادرها . ولنبدأ أولاً بذكر المصادر باعتبارها الأساس الذي قامت عليه العقيدة .

أولاً : مصادر العقيدة المسيحية ويحصر هوفمان حديثه عن المصادر في :

١ ــ الأناجيل ٢ ــ المجامع المسيحية

١ ــ الأناجيل :

يقصد بالأناجيل ــ العهد الجديد والذي يتكون من عشرين كتاباً[١] أهمها ١ ــ إنجيل متى ٢ــ إنجيل مرقص ٣ــ إنجيل لوقا ٤ ــ إنجيل يوحنا ٥ ــ رسائل بولس وعددها أربع

---

(١) يقال لهذه الأربعة ــ الأناجيل الأربعة ــ ولفظ إنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة وقد يطلق مجازا على مجموع كتب العهد الجديد ، والإنجيل لفظ معرب كان في الأصل اليوناني إنكليون بمعنى البشارة والتعليم انظر إظهار الحق الشيخ رحمة الله الهندي ج ١/ ١٠٣ ت د/ محمد أحمد ملكاوي ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض ط ٤/ ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م .

عشرة رسالة أرسلها إلى أمم مختلفة ٦ ـ سفر أعمال الرسل ٧ ـ سفر رؤيا يوحنا ويضاف إلى ذلك مجموعة من الرسائل لبطرس ويعقوب ويهوذا وغيرهم[١] . والحقيقة التي يجب أن نسجها هنا هي أن هذه الأناجيل تنسب لأصحابها فيقال إنجيل متى ومرقص ... ، فهم الذين كتبوها ، ولم يقل واحد منهم إنه الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام ، إذاً فنحن أمام نص بشري . ولو كان الأمر كذلك لما كان هناك مشكلة[٢] ولكنهم مازالوا يعتقدون أن هذه الأناجيل كتبت بإلهام وأنها مقدسة .

ويقرر قاموس الكتاب المقدس أن العهدين ـ القديم والحديث ـ ما يسمى بالكتاب المقدس كلاهما حرر بوحي من الله الذي حفظهما وطهرهما من كل خراب في جميع العصور[٣] .

وقاموس الكتاب المقدس مترجم لما في العهد الجديد ، فقد جاء في رسالة بولس تيموثاوس "كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم"[٤] . ويعتقد الكثير من المسيحين بصحة العهد الجديد وصدقه وأنه موحى به . فماذا عن موقف مراد هوفمان من الأناجيل ؟! .

---

(١) انظر إظهار الحق ج ١ / ١٠٣ـ ١٠٥ والمسيحية ـ النصرانية الأستاذ ساجد مير ١٧٣ دار السلام للنشر والتوزيع الرياض ط ١ / ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ومشكلات العقيدة النصرانية د/ سعد الدين السيد صالح ١٤٨ ، ١٤٩ د / ت .

(٢) انظر قراءة في الكتاب المقدس د/ صابر طعيمة ٤٠ وما بعدها ٦٠٩ ط المدينة المنورة السعودية ط ١ / ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .

(٣) انظر المسيحية ساجد مير ١٧٥ وقد نقل ذلك من قاموس الكتاب المقدس ١٠٦٧ ـ ١٠٦٩ .

(٤) رسالة بولس إلى أهل تيموثاوس إصحاح ٣ / ١٦ / ٣٤٧ " الكتاب المقدس " دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط د / ت .

يذهب هوفمان إلى أن العهد الجديد مشكوك فيه وأنه محرف ومزور وكذب ، ويجعل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد على السواء من صياغة البشر . يقول هوفمان " أكد التحليل العلمي لنصوص العهد الجديد الشكوك فيها ، فساعد على الخروج من المسيحية ، بينما أكدت التحليلات المماثلة شديدة التدقيق للقرآن موثوقيته ، وتوافق الأبحاث العلمية الحديثة مع ما جاء به "[١] . أصول الدين " أن العهد الجديد قد تعرض للتحريف في هذا الصدد " التثليث وغيره " من خلال الإنحراف في تفسيره إن لم يكن تزويره"[٢] .

ويقول هوفمان أيضاً " أن الكتاب المقدس بعهديه " القديم والجديد " من صياغة البشر"[٣] .

ويرى أننا لو طبقنا مبادئ البحث التاريخي الإسلامي أو مناهج القرآن على الأناجيل لظهر كذبها وزيفها ولم يبق منها شئ فيقول " إن أكثر الأمثلة إثارة للحرج هو محاولة تطبيق البحث التاريخي الإسلامي على العهد الجديد حيث نضطر إلى حذف كافة رسائل القديس بولس منه ، لأنه لم يشاهد المسيح قط أو يقابله أو يتحدث معه"[٤] .

---

(١) انظر الإسلام كبديل ٦٨ وراجع التوراة والإنجيل والقرآن لموريس بوكاي ٥٩ ــ ١٢٣ ترجمة نخبة من الدعاة دار الكندي ببيروت لبنان ط ٢ / ١٩٧٨م .
(٢) انظر يوميات ألماني مسلم ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٣) انظر الإسلام كبديل ٢٧ .
(٤) انظر يوميات ألماني مسلم ٦٠ .

وصدق هوفمان ، فإن بولس لم يدرك المسيح ﷺ [١] ، ولم يره طوال حياته[٢] . وتذكر بعض المصادر أنه ولد بعد المسيح بخمس عشرة سنة[٣] . ويذكر هوفمان جملة من النماذج على التحريف والتزوير والكذب للدلالة على صحة قوله :

(١) أن الآية التي تتحدث عن التثليث والزانية في إنجيل يوحنا مزورة والتزوير فيها واضح جداً في العهد الجديد .

يقول هوفمان " إن القول المؤسس لفكرة الثالوث في الرسالة الأولى[٤] ليوحنا لم تظهر إلا عام ١٣٨٠م في أسبانيا وهي ثلاثة موجودون هم شهود في السماء : الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد .. " .

وقد تمكن الباحثون منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا من إثبات أن هذه الآية بالإضافة إلى الإصحاح الذي يتحدث عن الزانية في إنجيل يوحنا[٥] تعد من

---

(١) انظر تحفة المريد في الرد على عباد الصليب عبد الله الترجمان الميورقي ١٠٩ تحقيق عمر الداعوق دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ط ١ / ١٤٠٨هـ .
(٢) انظر دراسات في الملل والنحل أصول المسيحية الهيلينية د/ محمد عبد الله الشرقاوي ١٧ د / ت .
(٣) انظر المسيحية شارل جينيبر ترجمة د/ عبد الحليم محمود ط دار المعارف القاهرة د / ت وتحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه ١٣٢ بسمة أحمد جستنية دار القلم دمشق سوريا ١ / ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .
(٤) رسالة يوحنا الرسول الأولى ٦ ـ ٨ / ٣٩٠ الكتاب المقدس .
(٥) جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن " وقدم له الكتبة والفريسيون إمرأة أمسكت في زنا ولما أقاموها في الوسط . قالوا له يا معلم هذه المرأة

حالات التزوير البيّنة والواضحة جداً في العهد الجديد [١].. " .

ويكمل هوفمان الحديث فيقول " وإنك لتجد على سبيل المثال في الطبعة الكاثوليكية التي احتفظ بها " صرح بطبعها أسقف مدينة رتنبورج Rottenburg ١٩٤٠م هذه الفقرة موضع الخلاف في الرسالة الأولى ليوحنا وهي بين قوسين معكوفتين وإشارة في الهامش تقول " هذه الفقرة موضوعها ومضمونها صحيح ولكنها إضافة وتكملة متأخرة "[٢] .

وكون التثليث إضافة وتكملة مقبول علماً بأن هذه العبارة لم ترد في الأصول اليونانية المعول عليها والأرجح أنه شرح أدخل إلى المتن في بعض النسخ[٣] . والقول بأن موضوعها ومضمونها صحيح . غير صحيح فالتثليث لا يكون توحيداً ، والتوحيد لا يكون تثليثاً [٤].

أمسكت وهي تزني في ذات الفعل وموسى في الناموس يقول أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت ؟ قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولا بحجر .... وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط ... وقال للمرأة أما دانك أحد . فقالت لا أحد يا سيد . فقال لها يسوع وأنا لا أدينك. اذهبي ولا تخطئي .." إنجيل يوحنا ٨ / ٢ ــ ٨ / ١٦١ .

(١) منذ ذلك الوقت يبدأ الإصحاح الثامن إنجيل يوحنا في بعض الطبعات الإنجيلية للعهد الجديد بدءا بالآية ١٢ يعني إلغاء قصة الزانية المتقدمة .

(٢) السابق ١٥٤ .

(٣) انظر الكتاب المقدس في الميزان عبد السلام محمد ١٣٤ دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة ط ١/١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

(٤) التثليث بين الوثنية والمسيحية د/ محمود حماية ٢ مكتبة وهبة القاهرة ط ٢٠٠٥/٣م .

وما ذكره هوفمان عن عبارة التثليث في غاية الأهمية والخطورة ، إذ تعني أن العقيدة المسيحية أقيمت على أمور لا أساس لها من الصحة وسيأتي لذلك مزيد بيان عند الحديث عن موقف هوفمان من قضية التثليث .

(٢) النموذج الثاني : رسالة بولس الثانية[١] والرسالة الثانية لبطرس[٢] ورسالة يوحنا الأولى[٣] وبعض مواضع من إنجيل متى[٤] كلها مزورة .

يقول هوفمان " لقد عبر كثير من علماء اللاهوت عن إستيائهم البالغ من تزوير بعض الوثائق الكاملة مثل رسالة بولس الثانية ــ والرسالة الثانية لبطرس وكذلك جميع المواضع الخاصة بمسألة الثالوث . ومن ضمن هذه المواضع رسالة يوحنا الأولى والتعميد باسم الآب والابن والروح القدس [٥] .. " .

وقول هوفمان صحيح ، فإن رسائل بولس كتبت قبل أي سفر من أسفار العهد الجديد ... وهي أقدم من الأناجيل ، بل إنها أقدم من معظم المصادر التي اعتمد عليها[٦] الأناجيل . وجميع الكنائس الشرقية ترد الرسالة الثانية لبطرس ... وكذلك الكنيسة السريانية

---

(١) انظر رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ٢٩٠ ــ ٣٠٤ والثانية إلى تيموثاوس ٣٤٤ ــ ٣٤٨ .
(٢) رسالة بطرس الثانية ٣٨١ ــ ٣٨٥ .
(٣) رسالة يوحنا الأولى ٥ / ٧ / ٣٩٠ .
(٤) إنجيل متى ٢٨ / ١٩ / ٥٥ .
(٥) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٩ .
(٦) انظر المسيحية ساجد مير ٥٦ وتحريف رسالة المسيح ١٥٩ ــ ١٦٣ .

تردها من البدء إلى اليوم[١]. ويذكر أحمد عبد الغفور أن الرسالة الثانية لبطرس لم ترضى عنها الكنيسة إلا سنة ٣٦٤م وقد وصفت من قبل المحققين بأنها كاذبة [٢] .

النموذج الثالث : مسألة صلب المسيح اختلفت فيها الأناجيل الأربعة اختلافاً يجعلنا لا نصدقها ولا نثق بها والروايات الواردة فيها كلها ملفقة ولا أساس لها من الصحة يقول هوفمان " إن الأناجيل الأربعة تختلف في مسألة الصلب بشكل لا يجعلنا نصدق أيّاً منها أو نثق بأحدها ، أما أن المسيح لم يوثق في الصلب بل سمر. فهذه الرواية عرفت أول ما عرفت في القرن الثالث الميلادي خاصة من خلال ترتوليان[٣] ولكن ليس على أساس نص وارد في

---

(١) انظر الديانات والعقائد أحمد عبد الغفور العطار ج ٣ / ٤٥٣ والأسفار المقدسة د/ علي عبد الواحد وافي ١١٧ ، ١١٨ دار نهضة مصر ـ القاهرة د / ت .
(٢) انظر الديانات والعقائد أحمد عبد الغفور ٣ / ٤٥٦ وتحريف رسالة المسيح ٢٥٤ .
(٣) ترتوليان كاتب لاتيني إفريقي ولد في مدينة قرطاجنة في إفريقيا الشمالية بالقرب من مدينة تونس الحالية ما بين عام ١٥٥ ، ١٦٠ وتوفى عام ٢٣٠م وقيل ٢٤٠م . ذهب إلى رومية حيث درس الحقوق وعمل بالمحاماة وبعد اهتدائه إلى المسيحية ، عاد إلى مسقط رأسه حيث أصبح سقفا في الكنيسة وكان عالما فذا في الفلسفة والتاريخ ومن كبار رجال الكنيسة المسيحية . ويقال : إن كلمة ثالوث أو التثليث لم ترد في الكتاب المقدس ، ويظن أن أول من صاغها واستعملها هو ترتوليان في القرن الثاني للميلاد . ومن كتبه " إلى الأمم " ، و" الدفاع " و " الحض على العفة " و " الرّد على اليهود في مصر " . انظر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب المسيحية المطبوعات مجلة رسالة الإسلام ع ٣١ والعروبة في اليهودية والمسيحية والإسلام د/ علي عبد الواحد وافي ٢٦٦ شبكة الإنترنت ومنتديات الحصن النفس ـ شبكة الحصن لإنترنت .

الإنجيل ، بل على الآيات ١٧ ــ ١٩ التي وردت في المزمار ٢٢ " ثقبوا يديَّ ورجليَّ ... صرت لهزالي أحصي عظامي ... يتقاسمون ثيابي ... وعلى لباسي يلقون قرعة [١].." [٢].

ويقول هوفمان أيضاً "... وأن الكلمات التي تنسب للمسيح وهو على الصليب ما هي إلا كلمات[٣] ملفقة لا أساس لها من الصحة وأنها رواية مؤلفة في زمن لاحق لهذا الحديث [٤].." . وأما الاعتقاد بقيادة المسيح[٥] من بين الأموات والتي يؤمن بها

---

(١) جاء في المزمور الثاني والعشرين " .. لأنه قد أحاطت بي كلاب جماعة من الأشرار إكتنفتني ثقبوا يديّ ورجليّ أحصوا كل عظامي . وهم ينظرون ويتفرسون فيّ يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون ، أما أنت يارب فلا تبعد يا قوتي أسرع إلى نصرتي " المزمور ٢٢ / ١٦ ــ ٢٠ / ٨٤٧ الكتاب المقدس .

(٢) انظر الإسلام في الألفية الثالثة ١٦١ .

(٣) جاء في إنجيل مرقس ... وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إلوي إلوي لما شبقتني . الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني إنجيل مرقص ١٥ / ٣٤ / ٨٧ وانظر إنجيل متى ٢٧ / ٤٥ / ٥٣ وفي لوقا " ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي ولما قال هذا أسلم الروح " لوقا ٣٣ / ٤٦ / ١٤١ قارن بين هذه النصوص وهذا النص الذي ورد في إنجيل يوحنا والذي يدل على نجاته من الصلب وأنه لم يصلب أصلاً . "فأرسل الفريسيون رؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه . فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني . ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتون . " إنجيل يوحنا ٧/٣٣ ، ٣٤/١٦٠ وجاء فيه أيضاً " أخذ يسوع الخل وقال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح " يوحنا ١٩/٣٠/١٨٥ .

(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٤ .

(٥) اختلفت وتناقضت روايات الأناجيل في قيامة المسيح بعد موته جاء في مرقس "أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب قد قام ..." مرقس ١٦/١/٨٨ وجاء في متى "إعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو

المسيحيون بأسرهم ، وإن كانت في الأصل رؤية فرد واحد ، فيراها Ludemann " رد فعل مسلسلاً " لا مثيل له[١].

وما ذكره هوفمان صحيح . إذ الروايات التي وردت في الأناجيل بخصوص صلب المسيح ودفنه وقيامه من بين الأموات مليئة بالشبهات والتناقضات والاختلافات العديدة وفي هذه الحالة لا يمكن أنعتبر هذه الحوادث المروية أكثر من كونها أو هاماً ومبالغات كانت منتشرة بين عامة الناس [٢].

يقول أحد الباحثين " إذا أخذنا بما ترويه الأناجيل عن الصلب والقيامة لوجدناها قد اختلفت من الألف إلى الياء[٣].

ويؤخذ مما تقدم أن هوفمان كان قارئاً جيداً للتاريخ عندما ذكر أن المسيح لم يوثق في الصليب بل سمر . فلم ترد رواية في الأناجيل الأربعة أو غيرها بهذا المعنى وإنما عرفت هذه الرواية أول ما عرفت في القرن الثالث الميلادي يعني بعد ميلاد المسيح بما يزيد على مائتي سنة وذلك عن طريق ترتوليان إن هذه النماذج التي ذكرها هوفمان قوية ، إذ أنها تنسف الأناجيل من أصلها .

هاهنا لأنه قام كما قال" متى ٢٨/٥ ــ ٧ وفي لوقا "ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم" لوقا ٢٤/٥ ــ ٨ /١٤٢ . وفي يوحنا "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب . أنه ينبغي أن يقوم من الأموات" يوحنا ٢٠/٨ ، ١٨٦/٩ .

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٤ .

(٢) المسيحية ساجد مير ١٦٣ وانظر كذلك مشكلات العقيدة النصرانية سعد الدين السيد صالح ١٢٧ ، ١٢٨ والديانات والعقائد ٣ / ٩٧ ، ١٣٨ .

(٣) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية اللواء أحمد عبد الوهاب ١٧٩ مكتبة وهبة القاهرة ط ٢/ ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٨م .

وتجعل القارئ والباحث يشك في كل ما جاء فيها . وخاصة إذا كانت في المسائل الاعتقادية التي يدين بها المسيحيون .

وإذا كانت الأناجيل بهذه الحالة فإنها لا ترقى أبداً ــ ولا يمكن ــ إلى القرآن الكريم كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وهوفمان يعلم هذه الحقيقة ، ويوقن بهذه القضية بعد إسلامه ولكنه يساير القوم في المقارنة بين الأناجيل والقرآن ومن المعلوم أيضاً أنه لا وجه للمقارنة بين نص سماوي محفوظ ونص بشري حُرف وغيرّ وبُدل .

ولكنه يحاربهم في اعتقادهم بصحة كتابهم وأنه وحي منزل كما يزعمون أو إلهام كما يظنون .

ولو أننا طبقنا مبادئ البحث العلمي ومعايير النقد وأعملنا مناهج القرآن على الأناجيل لم يبق منها شيء وهذه أمور يسلمون بها ويعلمون أنها صادقة .

يقول هوفمان " إن أكثر الأمثلة إثارة للحرج هو محاولة تطبيق مبادئ البحث التاريخي الإسلامي على العهد الجديد وإذا فعلنا ذلك فإننا نضطر إلى حذف كافة رسائل القديس بولس منه لأنه لم يشاهد المسيح أو يقابله أو يتحدث معه ، ونظراً للتأثير القوي للتفسيرات التي قدمها القديس بولس للأحداث التي أحاطت بالمسيح على التطور الأيديولوجي للمسيحية فإن المسيحيين في وقتنا الحاضر (وذلك على خلاف معتنقي المسيحية الأوائل) يمكنهم أن

يسموا أنفسهم "البوليسيين" وليس المسيحيين والحقيقة أن كافة مظاهر الهرطقة في المسيحية مثل تاليه المسيح وفرضية "الثالوث المقدس" وإضفاء صبغة شيطانية على الجسد قد بدأت مع شاعول بولس"[١].

ويقول أيضاً " أننا إذا طبقنا قواعد البحث التاريخي على مصادر الديانات وحصيلة مفاهيمها ، فإنه ليس ما يثير خشية الإسلام في الوقت الذي يوجد فيه كل ما يثير خشية المسيحية[٢].

وينقل قول بارفيز منصور[٣] عن جولدزيهر إعترافه " إذا طبقنا مناهج القرآن على الأناجيل فماذا يتبقى منها بعد ذلك ؟ "[٤].

كما ينقل عن الكاتب الفرنسي والطبيب المسلم موريس بوكاي مقارنته بين الكتاب المقدس " العهد الجديد " والقرآن فيقول " إننا لنجد اليهود الأشد أرثوذكسية وقد عجزوا عن معرفة أي مدى بعد العهد القديم من قبيل الأدب الإنساني مما يجعل من المستحيل أن

---

(١) انظر يوميات ألماني مسلم ٦٠ وراجع أيضاً في أثر بولس في المسيحية، المسيحية ساجد مير ٣٩ ــ ٥٩ والنصرانية من التوحيد إلى التثليث محمد أحمد الحاج ١٤١ ــ ١٤٥ دار القلم دمشق ١٤٢٣/٢هـ ــ ٢٠٠٢م وتحريف رسالة المسيح بسمة أحمد جستنية ١٣١ ــ ٢٠٦ م . س .

(٢) يوميات ألماني مسلم ٢٢٥ .

(٣) أستاذ أكاديمي ومفكر باكستاني مقيم في السويد ومن الدعاة هناك وأحيانا يكتب اسمه بارفيز مانزور ــ ومنظور ــ وأحيانا أخرى منصور كما يذكر صاحبنا . من أهم كتبه الاستشراق والدراسات الإسلامية شبكة الإنترنت .

(٤) يوميات ألماني مسلم ٢٢٥ .

نستخلص منه ما يمكن أن تطمئن إلى اعتباره من قبيل الوحي ، ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة للمسيحيين . إذ يبدو عليهم وكأنهم قد أصيبوا بجمود فكري عندما يواجهون حقيقة أن العهد الجديد متضمناً الأناجيل الأربعة ، لا يعد ـ من عدة نواح ـ رواية شاهد عيان ، وإنما تعليق على مصدر غير مباشر مما تناقلته الأفواه . فالتفسير الذي تعتنقه المسيحية بصورة نموذجية اليوم عن دور المسيح هو ذلك الذي جاء به أنصار مدرسة القديس بولس المتطرفة من الهيلينيين والتي تسيطر عليها آراء الأفلاطونية الجديدة والغنوسطية . ولقد بلغت هذه الطائفة جدًّا من النجاح لم يمكنها من طرد خصومها من اليهود المسيحيين من المسرح فحسب، وإنما من الذاكرة أيضاً .

وكان بوكاي قد قام في أول الأمر بتعداد الحالات الكثيرة التي يوجد فيها تناقض بين الكتاب المقدس والحقائق الثابتة مثل تسلسل الخلق ونسب المسيح ، وتواريخ بعد الأحداث التاريخية المتعلقة به. كذلك كثرة التناقضات الشهيرة بين الروايات الإنجيلية المختلفة مثل القيامة وسر العشاء الرباني " سر التناول " .

ويعترف بوكاي بأنه قد أصيب بالدهشة الشديدة عندما اكتشف لأول مرة عدم إمكانية النيل من صحة القرآن على أساس نقاط ضعف مماثلة أو قريبة من ذلك .

كما أدهشه أن يعلم ، على النقيض من ذلك ، أنه لا يوجد بيان قرآني واحد لا يمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمي سواء تعلق

هذا البيان بالحقائق الكونية ، أو الوراثية أو الأبحاث التي تجري في أعماق البحر .

بل إن القرآن قد أثبت مصداقيته بالنسبة لما جاء فيه من تفصيلات حول نمو الجنين كما نعرفه اليوم والتي لم يمكن التحقق منها إلا أخيراً بفضل استخدام مجهر فحص داخل الرحم "(١) .

إن المقارنة التي ذكرها هوفمان بين الإنجيل والقرآن بناءً على مبادئ البحث العلمي والتي يتبناها الغرب ويتبعها ويدعو إليها أدت إلى : موثوقية القرآن ومصداقيته في كل كبيرة وصغيرة جاءت فيه وأنه وحي الله المنزل ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وبعدم مصداقية الإنجيل وموثوقيته ولا يمكن اعتباره وحياً ، إنه أشبه بالأدب الإنساني أو كما وصفه موريس بوكاي في نقل هوفمان السابق تعليق على مصدر غير مباشر مما تناقلته الأفواه .

ويقصد هوفمان من وراء هذه المقارنة نقد الإنجيل ، وبيان ما فيه من اختلافات وتناقضات لا تتفق أبداً مع ما جاء في القرآن الكريم .

وحتى لو اعتبرنا الإنجيل الموجود حالياً وحياً منزلاً ــ كما يزعمون ــ فإنه لا يرقى إلى القرآن أصلاً ولا خوف ولا خشية على القرآن من مقارنته بالإنجيل ، إنما الخشية والخوف على

---

(١) يوميات ألماني مسلم ١٧٨ ــ ١٧٩ وراجع التوراة والإنجيل والقرآن موريس بوكاي ١٧٢ ــ ١٧٩ .

الإنجيل ولو ظلت هذه المقارنة إلى قيام الساعة والأمر كما يقول الشاعر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوَعِلُ[١]

والنار لا تزيد الذهب إلا بريقاً ورونقاً وصفاءً وبهاءً .

ويخلص هوفمان إلى أن العهد الجديد يمكن أن يكون مصدراً ثانوياً[٢] ، أو مصدراً غير مباشر[٣] . وربما كان الأجدى ـ كما يقول ـ مقارنته بمجموعة الأحاديث المشكوك في صحتها (الأحاديث الضعيفة) [٤]

وأقول : إن الإنجيل لا يرقى على مستوى الأحاديث الضعيفة لأن الضعيف قد ينجبر ويرتقي إلى الحسن لغيره . والحسن يعمل به في المسائل والأحكام الشرعية وحتى الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال عند البعض بشروطه. والأفضل أن نساوى الإنجيل عندهم بالأحاديث الموضوعة عندنا ، والتي لا تثبت أمام النقد لا سنداً ولا متناً .

---

(١) انظر ديوان الأعشى ـ ميمون بن قيس ١٤٨ دار صادر بيروت لبنان د/ت .
(٢) يوميات ألماني مسلم ٥٩ ، ٦٠ .
(٣) السابق ١٧٨ ، ١٧٩ .
(٤) السابق ٦٠ .

المبحث الثاني

نقده للمجامع المسيحية

المجامع من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها المسيحيون في عقيدتهم على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم . وهي عبارة عن هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها في حياتهم[١] .

والذي يلفت النظر في هذا التعريف أن المجامع عمل بشري فالرسل هم الذين أسسوا هذه المجامع وليس المسيح عليه السلام . ومعنى كونها عمل بشري أنها عرضة للأخذ والرّد والصواب والخطأ . لا يجبر عليها أحد ولا يلزم بها إنسان[٢].

والمجامع عندهم قسمان : مجامع عامة أو على حد تعبيرهم مجامع مسكونية : أي تجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء المعمورة والمجامع المكانية : وهي التي تعقدها كنائس مذهب أو أمة في دوائرها الخاصة عن أساقفتها وقساوستها إما لإقرار عقيدة أو لعرض عقائد أخرى.

(١) انظر موسوعة تاريخ الأقباط زكي شنودة ج ١/ ١٧٠ مطابع البلاغ القاهرة ط ١٩٦٨/٢م ومحاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة ١١١ دار الفكر العربي القاهرة ط ٣ / ١٩٦١م .

(٢) انظر المجامع المسيحية وأثرها في النصرانية د/ محمد رجب الشتيوي ط ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧م .

ويقسم المجامع صاحب كتاب سوسنه سليمان إلى ثلاثة أقسام فيقول : "وهذه المجامع تنقسم بالنظر إلى عدد أربابها ودرجتهم وشوكتهم إلى ثلاثة أقسام : هي مجامع عامة ويقال لها مسكونية ، ومجامع مليّة أي خاصة بطائفة دون غيرها . ومجامع إقليمية : أي خاصة بإقليم مخصوص . لكن مقاصد كلامنا لا يحتاج إلا إلى ذكر المجامع التي تعتبر عامة سواء صادق عليها الجميع أو أنكرها بعضهم على بعض لما في ذلك من معرفة النتائج التي تولدت عنها"[١]

وقد تقبل هذه التقسيمات ، لكن الذي لا يقبل معنى المجامع المسكونية وهو اجتماع رجال الكنائس في كل أنحاء المعمورة ، فإن هذا لم يحدث في تاريخ المجامع باستقرائي في معظم نظامها .

والذي يعنينا موقف هوفمان من هذه المجامع ومدى أهميتها ومقرراتها وآثارها في المسيحية وكيف انتقدها ؟ يطالعنا هوفمان بأول هذه المجامع وهو مجمع نيقية[٢]٣٢٥ م .

---

(١) انظر محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة ١١١ م . س .

(٢) نيقية بالكسر ثم السكون وكسر القاف وياء خفيفة هي من أعمال إسطمبول على البر الشرقي اجتمع بها آباء ملة النصارى الثلاثمائة والثمانية عشر وهو أول مجمع لملتهم . وأظهروا لهم الأمانة التي هي أصل دينهم واعتقادهم وصورهم وصور كراسيهم بهذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم " انظر مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ج ١٤١٢/٣ ت د/ علي محمد البجاوي دار المعرفة بيروت لبنان ط ١٣٧٤/١ ــ ١٩٥٥ م .

والذي عقد في مدينة نيقية ــ سابقاً ــ أزنيك حالياً ــ حيث اجتمع حشد كبير من الأساقفة بلغ عددهم نحو الألفين[١]. وبدأ المجمع أعماله بمناقشة المسائل المتنازع عليها وأهمها مسألة علاقة الآب بالابن هل هما متساويان في الجوهر كما يعتقد المثلثون أم أن الآب غير الابن كما يعلن ذلك آريوس؟ [٢] ؟ .

وبعد مناقشة استقر الرأي واقر المجمع بشكل حاسم المذهب القائل بوحدة الطبيعة بين الله " الآب "[٣] والمسيح " الابن " ثم أضيف الروح القدس كما سيأتي بعد ذلك .

يقول هوفمان " إن عقيدة التثليث تأسست في هذا المجمع ليس عن طريق إعلان أو تصريح ولكن فرضاً للعقيدة بالقانون ، وإفناء كل ما يخالفها من كتب ومخطوطات . ومن الأهمية بمكان (أو من المأساة) أن أقدم نسخة لدينا من الإنجيل ، إنما كتبت بعد المجمع"[٤]

---

(١) انظر موسوعة تاريخ الأقباط زكي شنودة ج ١٥٤/١ وربما كان في هذا العدد مبالغة

(٢) آريوس : ولد في مدينة ليبيا القيروان سنة ٢٧٠ م ودخل في شبابه المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية ثم رشحه البابا بطرس بطريرك الأسكندرية شماساً سنة ٣٠٧ ثم قساً وواعظاً وكان ذكياً فصيحاً كما كان زاهداً . أيده عدد كبير من رجال الدين وكانت له خطورته وآثاره الواضحة في الكنيسة انظر موسوعة تاريخ الأقباط زكي شنودة ١٥٠/١ وقصة الحضارة ول . ديورانت ج ٣٩٢/١١ ترجمة محمد بدران ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط ١٩٧٣/٣م .

(٣) انظر يوميات ألماني مسلم ٩٣ .

(٤) الإسلام كبديل ٣٨ .

ومعنى ذلك أن عقيدة التثليث فرضت بالقانون وأن كل ما خالفها من كتب ومخطوطات أقصى وحرق ، فالمجمع أمر بحرق الكتب التي تخالف رأيه . كتب آريوس وأتباعه وتتبعها في كل مكان وحث الناس على تحريم قراءتها . والمجمع بهذا يحاول التحكم في القلوب والسيطرة على النفوس بجعلها على قراءة ما وافق رأيه .ومنعها منعاً جازماً من أن تقرأ غيره "[1]

وإذا كانت المجامع هيئات شورية . كما يقولون ـــ فكيف حرم آريوس وحرقت كتبه وأتهم بالخيانة العظمى؟[2] ؟ . إن هوفمان يقول " إن عقيدة التثليث فرضت بالقوة "[3].

ومن المؤسف حقاً أن أقدم نسخة لدي المسيحيين من الإنجيل لم تكتب إلا بعد هذا المجمع يعني بعد سنة ٣٢٥ م ويعني ذلك أن الكنيسة بقيت قرابة أربعة قرون بغير كتاب وظلت محرومة مما يسمى بالعهد الجديد وما اشتمل عليه طوال هذه الفترة [4].

وهذا ما جعل هوفمان ينتقد الأناجيل ويبين كذبها وزورها ، وبالرغم من كثرة العدد المجتمع في هذا المجمع فإن قلة من الأساقفة هي التي قالت بألوهية المسيح ووقعت عليه وبلغ عددها

---

(١) انظر محاضرات في النصرانية الشيخ أبو زهرة ١١٧ ، ١١٨ والمجامع د/ الشتيوي ١٤٦ ، ١٤٧ وتحريف رسالى المسيح ٣١٩ .

(٢) انظر يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د/ رؤف شلبي ١٩٣ دار ثابت للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤١٠هـ ـــ ١٩٨٩م .

(٣) الإسلام كبديل ٣٨ .

(٤) انظر الإنجيل والصليب الأب عبد الأحد داود الآشوري ٣٦ ، ٣٧ مكتبة النافذة القاهرة ط ٢٠٠٤/١م .

٣١٨ أسقفاً ، وخالف هذه القلة أكثرية بلغت سبعمائة ألف[١] أسقف من الآريوسيين وهذه الكثرة أبعدت وألغيت[٢] وأهملت فلماذا ؟ وهل يصح للكنائس المسيحية جميعاً أن تلتزم برأي ٣١٨ أسقفاً من ٢٠٠٠ أو أكثر ؟

إن العقل يقضي – إن كان هناك عقل – أن تكون النصرة والغلبة للكثرة لا القلة ولكن الأمور تشير على خلاف ما تقتضيه العقول وترتضيه الأفهام فما السر في ذلك ؟!

إن السّر في ذلك يعود إلى الدور الذي قام به الإمبراطور الوثني قسطنطين[٣] .

---

(١) هذا العدد مبالغ ولا يعقل أن يكون أتباع آريوس من المعارضين بلغوا هذا العدد وربما كان العدد الصحيح هو سبعمائة فقط كما يقول الشيخ أبو زهرة في كتابه محاضرات في النصرانية وكما يقول د/ طعيمة انظر قراءة في الكتاب المقدس ٤٢٦ .

(٢) انظر النصرانية والإسلام – عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة المستشار محمد عزت الطهطاوي ٣٥ ، ٣٦ دار الأنصار بالقاهرة د/ت والمجامع المسيحية د/ الشتيوي ١٦٢ ، ١٦٣ والنصرانية من التوحيد إلى التثليث محمد أحمد الحاج ١٧٥ ، ١٧٦

(٣) هو قسطنطين بن قسطنديوس كلوروس من زوجته هيلانة ولد في نيش من أعمال يوغسلافيا حوالي سنة ٢٨٠ م . وقد اختلف في أصل والدته. فهي إما أناضولية بلقانية كما جاء في بعض المصادر وإما سورية رهوية كما جاء في بعضها الآخر . نشأ في نيقوميدية في حاشية الإمبراطور ديوقليتيانوس والتحق بالجيش وهو في الخامسة عشرة من عمره . وأظهر شجاعة ودراية فرقى إلى رتبة قائد في الثانية عشرة ... ولما تولى غلاريوس ديوقليتيانوس فصل قسطنطين من الجيش ثم استدعاه والده قسطنديوس قيصير فالتحق به وكان يحكم غالية وأسبانيا وبريطانية تولى عرش الإمبراطورية سنة ٣٢٣م وتوفي يوم العنصرة سنة ٣٣٧ انظر الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلتهم

حيث رأى الاختلافات على أشدها وكادت أن تعصف بمملكته، فدعا لهذا المجمع وترأسه واقرّ ما جاء فيه وفرضه لأغراض سياسية هي حفظ السلام الداخلي في البلاد يقول مراد هوفمان " أما الأمر الأكثر إزعاجاً في الأوساط المسيحية فهو متابعة سياق ومجريات المجلس الملّي الموحد الأول والمنعقد في عام ٣٢٥ م حيث تمكنت أقلية من المسيحيين في هذا المجمع من القطع بأن المسيح لم يخلق ، بل ولد وأنه يتساوى في ماهيته مع الرّب

وهذه القلة قد فرضت رأيها على الحاضرين . أما الأمر المثير للإزعاج حقاً فهو أن الداعي لعقد هذا المجمع ورئيسه كان الإمبراطور الوثني قسطنطين . ولقد اقترح الإمبراطور هذه الصيغة الدينية الحاسمة وفرضها لأغراض سياسية ألا وهي حفظ السلام الداخلي[(١)] ويقول أيضاً في أهمية مجمع نيقية والدور الأساسي الذي لعبه قسطنطين فيه " لقد كان المجمع الكنسي الأول في نيقية كما تعلم اليوم أهم المجمعات على الإطلاق حتى المجمع ٢٢ الذي عقد في الفاتيكان القرن الماضي . ولكن ذلك المجمع البالغ الأهمية لم يدعُ لعقده البابا أو أسقف روما ، ولكن دعا لعقده شخص وثني غير معمد ولا علم له باللاهوت هو القيصر قسطنطين الكبير ولم يتم هذا المجمع في كاتدرائية نيقية ، ولكن في مقر

بالعرب د/ أسد رستم ج ٥٢/١ ، ٥٣ ، ٧٢ نشر دار المسكوف بيروت لبنان ط ١٩٥٥/١م وقيصر والمسيح د / رأفت عبد الحميد كاملاً ٥١ ــ ٣٠٧ ضمن سلسلة الدولة والكنيسة الجزء الثـالث دار قباء ــ القاهرة ط ٣ .

(١) الطريق إلى مكة ١٤٥ ، ١٤٦ .

الإمبراطور الصيفي ولم يرأس هذا المجمع أحدُ من رجال الدين الحاضرين . كما أن الإمبراطور هو الذي قدم اقتراح الصيغة القائلة بأن جوهر الله هو جوهر المسيح وأنهما متماثلان . وهذا الاقتراح لم يصدر عن اهتمام ديني ولكن رغبة منه في بعض الاتفاق الديني بعد سنوات طويلة من الخلافات الدينية الحادة .

ولقد رأى القيصر أن صيغة (المسيح = الله) صيغة مناسبة لحل الخلافات ، ولم يفكر في كونها محرفة ، فالأباطرة الرومان كانوا كثيراً ما يحبون وضع أنفسهم في مرتبة مساوية للآلهة "[١]

وإذا كان دور قيصر قسطنطين سياسياً فإن هوفمان يلفت النظر إلى الدور الديني الذي قام به بولس الرسول حيث انحرفت المسيحية دينياً وسياسياً بقسطنطين وبولس وخرجت عن مسارها الأصلي من التوحيد إلى التثليث .

يقول هوفمان عن الدور الخطير الذي لعبه بولس في تحريف رسالة المسيح : " بدت لي المسيحية وكأنها تعود لترتكز في أصولها على أساطير متنوعة ومتعددة وتبين لنا جلياً الدور الخطير والشرير الذي لعبه بولس الرسول ، لقد قام بولس والذي لم يعرف المسيح أبداً ولم يصاحبه في حياته بتغيير بل وبتزوير التعاليم اليهودية المسيحية التي صاغها برنابه وترى في المسيح أحد رسل الله وأنبيائه . وتيقنت أن المجلس الملي ، الذي انعقد في نيقيا (عام ٣٢٥) ، قد ضل طريقه تماماً ، وحاد عن الصواب وتعليمات

---

(١) انظر الإسلام في الألفية الثالثة هوفمان ١٥٦ ، ١٥٧ .

المسيحية الأصلية ، عندما أعلن أن المسيح هو الله . واليوم ، أي بعد مرور ما يزيد على ستة عشر قرناً ، يحاول تصحيح هذا الخطأ بعض علماء اللاهوت الذين يتمتعون بجرأة شديدة "[1]

ويصف هوفمان بولس الرسول بالمهرطق ـــ المخرف ـــ فيقول في شأنه " والحقيقة أن كافة مظاهر الهرطقة في المسيحية مثل تأليه المسيح ، وفرضية " الثالوث المقدس " ، وإضفاء صبغة شيطانية على الجسد قد بدأت مع شاعول بولس "[2] .

ويصل مراد هوفمان إلى خلاصة ما قرره مجمع نيقية ٣٢٥م فيقول " بدون أي إعداد أو تحضير مسبق ، واي مناقشة جدية ، تبنى الأساقفة صيغة قدمها الإمبراطور الوثني ، تنص على أن :

عيسى المسيح ابن الله ، هو الله نفسه ، ليس مخلوقاً ولكن محدثاً بواسطة الأب الإله ، ومن نفس جوهر الإله .

وبهذا تم وضع أساس عقيدة التجسيد المقدس ، ومن ثم عقيدة التثليث[3]

وينتهي هوفمان إلى أن مجمع نيقية كانت له آثار خطيرة وتتمثل هذه الخطورة فيما يلي :

١ ـــ أن هذا المجمع يعد حدثاً هاماً ومعلماً بارزاً وفارقاً واضحاً في تطور المسيحية . فالمسيحية كانت قبله توحيدية وبعده

---

(١) الطريق إلى مكة ٣٨ ، ٣٩ .
(٢) يوميات ألماني مسلم ٥٩ ، ٦٠ .
(٣) الإسلام عام ٢٠٠٠ م ١٩ ، ٢٠ .

تثليثية . يقول هوفمان " ولقد كان المجمع الأول الذي عقد في نيقيه من ١٩ يونيو حتى ٢٥ أغسطس عام ٣٢٥م معلماً فارقاً في تطور المسيحية ؛ لأنه عارض تماماً فكرة آريوس عن المسيح ، وأقر أن المسيح من جوهر الآب وأنه ولد ولم يخلق وأنه يتساوى في الجوهر والكيان مع الإله الآب[١].

٢ ــ أن العقيدة التي فرضت في هذا المجمع فرضت بالقوة من قبل الإمبراطور الوثني قسطنطين يقول هوفمان " لا تبعد المسافة كثيراً من استنبول حتى نيقيه (اسمها الحالي إزنك) . وكلما ذهبت هناك ، اصابني رعدة في البدن بالتفكير في نتائج ما وقع في هذا المكان عام ٣٢٥ م فلم تتم مناقشة الأمر في هذا المجمع بصراحة ، ولكن تم فرض الرأي الإمبراطوري ، وبذلك أصبح عندنا أمر إمبراطوري نتيجة لوجود خلافات وصراعات قوى وليس رأياً مبنياً على تفسير النصوص المقدسة "[٢]

ومنذ ذلك التاريخ عرفت الوثنية طريقها إلى المسيحية حيث كان قسطنطين حاكم وثني . ومن التقاليد الرومانية المشهورة تاليه الأباطرة ، ولا فرق حينئذ بين تأليه الأباطرة وتأليه المسيح ولذلك يقول هوفمان " هناك علاقة بين التقاليد الرومانية في تأليه الأباطرة الراحلين بقرارات من مجلس الشيوخ الروماني . وبين قرارات مجمع نيقية في عام ٣٢٥ م يرفع المسيح إلى مرتبة الألوهية "[٣]

---

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٥ .
(٢) السابق ١٥٧ .
(٣) يوميات ألماني مسلم ٢٢٥ .

٣ ــ إقصاء المخالف وإفنائه وحرمانه وإحراق كتبه ، حيث أقر المجمع بحرق كتابات آريوس الدينية ومنعها عن الناس وإتهامه بالخيانة العظمى ، وهذا يدل على موقف الكنيسة من المخالف حتى وإن انتسب إلى دينها ودان بعقيدتها . و العجيب بعد ذلك أن يلغى قرار هذا المجمع ويستدل بمجمع صور ٣٣٤م وتقلب الأمور رأساً على عقب . فالذي كان خطأً أصبح صواباً والذي كان صواباً أصبح خطأً ، وما كان حقاً صار باطلاً وما كان باطلاً صار حقاً . يعاد آريوس ويعفى عنه ويستبعد إثنا سيوس ويعاقب كل ذلك تحت سمع وبصر قسطنطين الذي يتقلب وفق ما تقتضيه وتطلبه السياسة أو وفق مصلحته . فقد ظل يؤيد المذهب الإثنا سيوسي طالما كانت عاصمته في الغرب ، ولما شرع في نقل عاصمته لم يجد غضاضة في تغيير عقيدته ومذهبه الآريوسي فتأمل حال هذا الرجل الذي يدور مع مصالحه ورغباته الشخصية ، فهو إثنا سيوسي مع الإثنا سيوسيين وآريوسي مع الآريوسيين ، ووثني مع الوثنيين[1].

كما كان من أثر هذا المجمع أن المسيحيين أخذوا ينظرون إلى اليهودية على أنها تمهد للمسيحية وأخذ اليهود يعدون المسيحية بدعة وزندقة ومروقاً عن اليهودية .

---

(١) انظر أوربا ــ العصور الوسطى د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ج ١ / ٥٨ مكتبة الإنجلو المصرية ط ١٠ / ١٩٨٦م ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د/ رؤف شلبي ١٩٦ ــ ٢٠١ والمجامع د/ الشتيوي ١٧١ ، ١٧٢ .

يقول هوفمان "لقد تم القضاء تماماً على الكتابات التي تعارض هذا الرأي ، كما تم إلغاء فكر الأريسيين والمسيحيين اليهود من ذاكرة الناس تماماً . وتم قطع أواصر الصلة تماماً بين المسيحية واليهودية . وبناءً على رفض بولس إجراء عملية الطهارة لمن يعتنق المسيحية ، قامت قطيعة لاهوتية مع فكر التوحيد السامي . لقد تم الإعلان عن الله ! ولكن كذلك أصبح وجود الكنيسة المقدسة واضحاً ومسيطراً . وأخذ المسيحيون ينظرون إلى اليهودية على أنها مجرد تمهيد للمسيحية وعدّ اليهود المسيحية بدعة وزندقة ومروقاً عن اليهودية . ولم يرد في الفكر المسيحي بعد ذلك لقرون طويلة محاولة لتصحيح ما جاء في إزنك عن طريق مراجعة المسيحية والفكر المسيحي لنفسه . وبالعكس ، أصبح هذا الفكر المسيحي المتطرف مطالباً بحماية نفسه ضد فكر أكثر تطرفاً "(١).

ومع أن قسطنطين كان يتلون سياسياً ودينياً حسبما تكون مصلحته ومنفعته فإن هوفمان يذكر حسنة له وهي إعلاء شأن المسيحية وجعلها ديناً رسمياً لدولته العظمى فيقول "فلقد استطاع القيصر قسطنطين باستيلائه على الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع أن يعلي من شأن المسيحية ويضعها في مصاف دين الدولة العظمى "(٢) . وجعله المسيحية ديانة الدولة ــ يعني المسيحية الوثنية بوضعه هو لا المسيحية الخالصة .

(١) انظر الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٧ .
(٢) السابق ١٠٨ وراجع كذلك أوربا – العصور الوسطي د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ج ١ / ٤١ .

٤ ــ إذا كان للمرء أن يعجب ــ فليعجب من أمر هذه القلة من القساوسة التي أخذت على عاتقها تقرير مصير البشرية الديني بشكل نهائي في هذا المجمع ٣٢٥م وإبطال رأي الأغلبية العظمى وإهمالها . يقول هوفمان " لا يملك من يعتقد بالنتائج الحاسمة التاريخية وسواء أكان مسلماً أم مسيحياً ، أن يتحرر من وقع هذا الشعور الجارف الذي ينتابه عند زيارته لمدينة إيزنيك ــ نيقية سابقاً .... لقد أصبحت تلك المدينة المتربة الهاجعة ، لفترة قصيرة عاصمة الإمبراطورية الرومانية ... وفي تلك البقعة تقرر مصير البشرية الديني بشكل نهائي عام ٣٢٥م ... ولو أن بضعة أساقفة حملوا عام ٣٢٥م لواء مقاومة النظرية المتطرفة والقائلة بالطبيعة المتطابقة للمسيح والله ، لكان موقفهم هذا قميناً بإذابة الاختلافات اللاهوتية الجوهرية بين اليهود والمسيحيين والمسلمين " إن المرء لا يملك إلا أن يرتجف فرقاً عندما يتمعن في كيف قامت قلة من الأساقفة في نيقية بتحمل تلك المسئولية الهائلة عن مصير الإنسانية"(١).

٥ ــ إن النزعة الإلحادية التي تسود الغرب المسيحي في العصر الحديث شديدة الصلة بما حدث في إزنيك ــ نيقية سابقاً ــ وأن الوضع اليوم ما هو إلا نتيجة متأخرة لما ألم بالمسيحية فيها . وأن الخلاف المستحكم بين رجال الدين وتصوير الكنيسة للمسيح على أنه الرّب والمفكرين الأوربيين أدى إلى إنكار كافة الديانات فهل مجمع نيقية هو جذور الإلحاد ؟! .

(١) يوميات ألماني مسلم ٩٣ ، ٩٤ .

يقول هوفمان " إن المسلمين والمسيحيين يشكون اليوم معاً من أن الغرب يعاني منذ ما يزيد على ١٥٠ عاماً من الإلحاد ، والإغتراب عن الكنيسة واللاأدرية ، وكذلك الهروب إلى ديانات خاصة غير مفهومة ومتقوقعة على نفسها من فلسفة حب الإنسان إلى الديانات التي تقدس الربات والديانات ذات الصبغة النسائية والبوذية ، لأن المسيحيين والمسلمين في قارب واحد في خضم هذا البحر الهائل المعاصر من العداء للدين والشديد المادية . ولكن هل من الواضح للمسيحيين أن هذا التطور السلبي في العصر الحديث شديد الصلة بما حدث في إزنك ؟ وأن الوضع اليوم ما هو إلا نتيجة متأخرة لما ألم بالمسيحية في إزنك وقد كتب محمد أسد ــ أبرز المسلمين الأوربيين في القرن العشرين في كتابه الصغير ــ الإسلام على مفترق الطرق ــ عام ١٩٣٤م أن أهم العوامل الفكرية التي تعوق التجديد والإحياء الديني في أوربا هو الرؤية المعاصرة لطبيعة المسيح على أنه ابن الرّب ــ فالمفكرون الأوربيون ينفرون غريزياً من صورة الإله التي تروجها تعاليم الكنيسة ــ ولكن هذا هو التصور الوحيد المألوف لهم ، ولذلك بدؤا برفض وإنكار صورة الرّب ومعها كافة الديانات . فهل إزنك هي جذور الإلحاد؟[1] . إن فكرة التثليث التي تعتنقها الكنيسة برجالها أضحت فكرة بائدة وفاسدة لا ترضي رجال الفكر والثقافة الغربيين ولا تتفق

---

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٣ والإسلام على مفترق الطرق محمد أسد ٥١ ، ٥٢ . Eslam at The Crossroads

مع عقولهم وأفكارهم . ولما كانت هذه الفكرة لا يصدقها عقل ولا يقرها نقل بدؤا برفضها وإنكار كافة الديانات معها فوقع الإلحاد وانتشرت اللاأدرية ، فاستفهام هوفمان هنا للإقرار لا الإنكار .

(٢) المجمع الثاني : مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م

هذا المجمع هو الذي أطلقت عليه الكنيسة المجمع المسكوني الثاني ، إذ اعتبرته من أهم المجامع المسكونية ذات الأثر الأكبر في العقيدة المسيحية . والعلاقة بين هذا المجمع والسابق عليه وثيقة ، فإذا كانت عقيدة التثليث قد أسست في مجمع نيقية عام ٣٢٥م كما يقول هوفمان فإنها قد أقرت في هذا المجمع ٣٨١م .

وكان السبب الأساسي في عقد هذا المجمع ظهور دعوات مناوئة للكنيسة ومخالفة لعقيدتها ومنهم "مقدونيوس" و "يوسابيوس" و "ابوليناريوس" وكان الأول أسقفاً أقامه الآريوسيون على القسطنطينية سنة ٣٤٣م ثم عزل سنة ٣٦٠ لمناداته ببدعة جديدة هي إنكار لاهوت الروح القدس ، إذ قال بأنه مخلوق كسائر المخلوقات وقد ناقشه المجمع وحرمه وأسقطه من رتبته الأسقفية . وكان الثاني ينكر وجود الثلاثة أقانيم ويقول : إن الثالوث ذات واحدة وأقنوم واحد . فناقشه المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبته وكان الثالث أسقفاً على اللاذقية والشام وقد أنكر وجود النفس البشرية في المسيح واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية في إحتمال الآلام والموت وقال بتفاوت العظمة بين الأقانيم ، فالآب أعظم من الابن ، والابن أعظم من روح القدس . وقد حكم المجمع

بحرمانه وأسقطه من رتبته ثم وضع المجمع تكملة لقانون الإيمان الذي وضعه مجمع نيقية . إبتدأت التكملة بعبارة (ونؤمن بروح القدس الرّب المحي المميت) وتنتهي بعبارة (وحياة الدهر الآتي آمين) [١].

فهذا المجمع تكميل لمجمع نيقية وقد أقرّ ألوهية روح القدس ليتم الثالوث . وقد حضره ١٥٠ أسقفاً وحددوا في وجه مقدونيوس القسطنطيني وقرطونيوس النيقوميذي أن الروح القدس إله وهو الأقنوم الثالث من الثالوث المقدس "[٢] .

وزيادة هذا المجمع في قانون الأمانة " الإيمان بروح القدس الرّب المحي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد وثبتوا أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص وحدّية في تثليث وتثليث في وحدّية كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد . جوهر واحد طبيعة واحدة "[٣] .

---

(١) انظر تاريخ الأقباط زكي شنودة ج ١٧٦/١ ومحاضرات في النصرانية أبو زهرة ١٢٢ والأسفار المقدسة د/ وافي ١٢٦ ، ١٢٧ ويا أهل الكتاب د/ رؤف شلبي ٢٠٨ ـــ ٢١٢ والمجامع د/ الشتيوي ١٩٠ ـــ ١٩٣ والنصرانية د/ الحاج ١٨٣ .

(٢) انظر فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام لويس غرديه وجورج قنواتي ج ٢٧٤/٢ ترجمه إلى العربية د/ صبحي الصالح والأب د/ فريد جبر دار العلم للملايين بيروت لبنان ط ١٩٦٧/١م ومحاضرات في مقارنة الأديان إبراهيم خليل أحمد ٢٥ دار المنار القاهرة ط ١٤٠٩/١ هـــ ـــ ١٩٨٩م ويا أهل الكتاب ٢٠٩ .

(٣)انظرمحاضرات في النصرانية الشيخ أبو زهرة ١٢٣ ، ١٢٤ والنصرانية د/ الحاج ١٨٣ ، ١٨٤ .

يقول الدكتور هوفمان في مجمع القسطنطينية ٣٨١م " وبتأثير من موضة لاهوت الروح كان المجمع الثاني في القسطنطينية قد شخّص فكرة "الكلمة" (Logas) في عام ٣٨١م[١].

ويقصد بذلك روح القدس ويقول أيضاً "وبهذا تسللت تصورات هلّينية إلى المسيحية واكتسبت من خلال ترسيخها لفكرة الثالوث موقعاً مسيطراً"[٢] فهذا المجمع رسخ فكرة الثالوث .

يقول هوفمان " وأما وضع الشخص الإلهي الثالث في العهد الجديد ، فلا يمثل أي صعوبة ، فكل ما ينبغي تغييره هو فهم كلمة الله بوصفها روح الله ، على أنها الروح القدس "[٣] .

ونقول لمراد هوفمان إن هذا هو التأويل ، ولا يستقيم معنى كلمة الله بوصفها روح الله إلا على أنها الروح القدس ، الأبلى عنق النصوص وإخضاعها للتأويل القسري البعيد . ولو سلمنا بما قاله ، فماذا يقول في النصوص التي وردت في العهد الجديد عن الروح القدس وتعني أنه ملك رسول من عند الله عزّ وجلّ من ذلك ما جاء في إنجيل لوقا على لسان الملك الذي بشر زكريا يحيى " ومن بطن أمه يمتلئ من روح القدس"[٤] .

---

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٦ .
(٢) السابق ١٥٦ .
(٣) السابق ١٥٦ .
(٤) إنجيل لوقا ١ / ١٥ / ٨٩ .

وفي إنجيل متى " أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس "(١) .

وفي إنجيل لوقا " أن الياصبات أم يحى امتلأت من الروح القدس "(٢)

"وبذلك حملت بيحى وكانت عاقراً وأن زكريا أباه امتلأ من الروح القدس"(٣)

ويذكر هوفمان أثر مجمع القسطنطينية ونقده له فيقول " وفي هذه الأثناء ، يعني القرن الرابع ظهرت بتأثيرات من فكرة الثالوث في الميثولوجية المصرية والأفلاطونية السكندرية الجديدة ظهرت فكرة الثالوث ، وأضيف إلى الآب والابن الروح القدس "(٤).

وهوفمان يقصد بذلك أن فكرة الثالوث التي أقرت في هذا المجمع القسطنطيني تسربت وتسللت إليه من الميثولوجية المصرية والأفلاطونية السكندرية الجديدة ، فالمصريون القدماء كانوا يقولون بالتثليث ممثلاً في إيزيس وأوزوريس وحورس ، وقد دان المصريون بهذه العقيدة من قبل المسيحيين بسنين طويلة ، وحتى الزيادة التي أقرها هذا المجمع " روح القدس " لا تلعب أي دور في الحياة اليومية للمسيحي ، ومن ثم فإنه يرفض الفكرة برمتها .

---

(١) متى ١ / ١٨ / ٣ .
(٢) إنجيل لوقا ١ / ٤١ / ٩١ .
(٣) إنجيل لوقا ١ / ٦٧ / ٩١ .
(٤) انظر الإسلام في الألفية الثالثة هوفمان ١٥٦ .

يقول هوفمان " كيف يبدو في العالم الغربي الآن رفض الطبيعة الإلهية لعيسى والروح القدس كذات إلهية وبالتالي التثليث ؟ أعتقد أنه في هذا المجال سيكسب الإسلام مؤيدين وأنصاراً من المسيحيين . لا تلعب الروح القدس أي دور في الحياة اليومية للمسيحي ، ويزداد الإقناع أن تلك الذات المقدسة ما هي إلا نتاج التفكير الأفلاطوني والغنوصي في فترة ما قبل المسيحية ، ثم الأفلاطونية الحديثة التي تغلغلت في المسيحية ولكن بدرجة أقل بأسطورة إيزيس وأوزوريس وحورس وقد تنفس كل ذلك مؤلف إنجيل يوحنا ــ كائناً من كان ــ ثم سطره في إنجيله قائلاً " في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله(١). " استلزم ثالث الثالوث تأويلاً لترجمته " قدمت كلمة برقليط Priglyte أولاً على أنها الروح ثم تحولت وبحروف لاتينية كبيرة إلى الروح القدس(٢).

ففكرة التثليث أو عقيدة الثالوث التي أقرها هذا المجمع إنما هي من وضع الأساقفة يعني من نسج عقول البشر وقلوبهم وليست من قبل وحي سماوي . يقول هوفمان " ليس هناك ما يمنعنا إطلاقاً من أن نقرر بداءة ما إذا كانت المسألة تتعلق بسر من الأسرار

---

(١) إنجيل يوحنا ١ / ١ / ١٤٥ .
(٢) الإسلام كبديل ٣٧ ، ٣٨ ويوميات ألماني مسلم ١٦٠ ، ٢٢٥ وراجع كذلك العقائد الوثنية في الديانة النصرانية محمد بن طاهر التنير ٦٣ ت د/ محمد عبد الله الشرقاوي دار الصحوة القاهرة ط ١/ ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م والتثليث بين الوثنية والمسيحية د/ محمود حماية ٧٦ ، ٧٧ مكتبة النافذة القاهرة ط ٣ / ٢٠٠٥م .

بالفعل أو أنها كما في حالة التثليث من نسج قلوب البشر وعقولهم ــ لقد مضى ذلك الوقت الذي كان يمكن فيه للمسيحية أن تستفيد من فكرة التثليث خاصة عندما تنشر بين شعوب تؤمن بالتسلسل الهرمي للآلهة ، أما اليوم فإن التثليث لا يعدو أن يكون عبئاً على المسيحية(١) " ويضاف إلى ما تقدم أهم أثر لهذا المجمع وهو أن المسيح لم يأت بالتثليث ولم يشر إليه لا من قريب ولا من بعيد وإنما كان يدين بالعقيدة الصحيحة في الله يعني يؤمن بالتوحيد . كما وضحت ذلك آيات قرآننا وأحاديث سنتنا . فالمسيحية ظلت قرابة الأربعة قرون لا تعرف شيئاً عن التثليث حتى جاء هذا المجمع وأقرها .

يقول هوفمان " وعلى أي حال لم يأت عيسى بالتثليث حتى جاء هذا المجمع وأقرها ، بل اعتنق ككل اليهود المسيحيين مفهوم اليهود الصحيح عن الله "(٢).

(٣) المجمع الثالث : مجمع خلقدونية ٤٥١م ويسميه هوفمان إسكدار

يعتبر هذا المجمع من المجامع المهمة في تاريخ المسيحية لأن موضوعه في صلب العقيدة فهو يتعلق بطبيعة السيد المسيح عليه السلام وقد كان هذا المجمع حاداً تعددت فيه الآراء واختلفت فيه الأقوال ، حيث طرد منه ديسقورس بطريرك الإسكندرية بالقوة ،

---

(١) انظر يوميات ألماني مسلم ١٦٠ .
(٢) الإسلام كبديل ٣٨ .

وبدأ الإنشقاق الكنسي بين الكنيستين الشرقية والغربية وإلى يومنا هذا .

ويذكر زكي شنودة سبب هذا المجمع فيقول " وقد حضره أساقفة روما وحضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته وقد إشتد الخلاف بين الطرفين في اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثاني منع ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة المشرق وحكموا بعزل ديسقورس ونفيه ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين مخالفين بذلك قانون الإيمان .... وقد رفض ديسقورس أمر الإمبراطور مريكان المتوفي ٤٥٩م فأمر بنفيه ومات وظلت الكنيسة القبطية محافظة على الإيمان الذي استشهد في سبيله لذلك فالكنيسة القبطية لا تعترف بهذا المجمع[١] ولا تقربه .

فالخلاف في هذا المجمع محصور بين روما والإسكندرية في طبيعة المسيح فالإسكندرية ترى أن يسوع ذات طبيعة واحدة هي أنه من جوهر الله . وروما ترى أن يسوع ذات طبيعتين : طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية إلتقيا في شخصه[٢].

(١) انظر موسوعة تاريخ الأقباط زكي شنودة ج ١٧٩/١ ومحاضرات في النصرانية الشيخ أبو زهرة ١٢٦ ويا أهل الكتاب رؤوف شلبي ٢١٦ ومحاضرات في تاريخ الأديان إبراهيم خليل أحمد ٢٨ والنصرانية د/ الحاج ١٨٦ .
(٢) محاضرات في تاريخ الأديان إبراهيم خليل أحمد ٢٨ .

وأصرت الإسكندرية على موقفها ورفضت الانصياع لقرارات هذا المجمع مما كان سبباً في حدوث إنشقاق الكنيسة على ذاتها وظهور كنيسة الأقباط الأرثوذكس على مبدأ الإيمان بالطبيعة الواحدة(١) . هذا هو سبب إنعقاد المجمع . فماذا عن موقف هوفمان؟ .

وقبل بيان موقفه من هذا المجمع ندعه يعطينا صورة عن الجو الفكري والخلاف العقدي الذي ساد القرن الرابع الميلادي حول طبيعة المسيح في كل من القسطنطينية والإسكندرية فيقول " ومنذ القرن الرابع الميلادي أصبحت مناقشة طبيعة المسيح بإحتمالاتها الأربعة من الأمور الشهيرة في كل من الإسكندرية والقسطنطينية وهذه الاحتمالات الأربعة هي :

١ ــ المسيح ذو طبيعة واحدة : إله فقط : هذا الفكر الذي يعتنقه ويمثله إلى الآن القبط والأرمن .

٢ ــ إنسان فقط : هذا الفكر يعتنقه المسيحيون اليهود والآريسيون نسبة إلى آريوس الذي قال بآدمية المسيح ؛ وهم الموحدون .

٣ ــ ذو طبيعتين منفصلتين : إله وإنسان : الفكر الذي يقول بالطبيعتين والذي يعتنقه جماعة النستوريانين Nestorians .

٤ ــ ذو طبيعتين مختلطتين : إله وإنسان . الفكر الأرثوذكسي الذي ثبّت أركانه منذ القرنين الرابع والخامس الميلادين(٢)

(١) السابق ٢٨ .
(٢) انظر الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٥ .

وبعد هذه الصورة التي سادت القرن الرابع الميلادي يذكر سبب حدوث هذا المجمع وانعقاده فيقول : " ولكن بعد ذلك اكتسب الفكر الذي أقره مجمع نيقية قوة كبيرة وتوطد منذ عام ٤٥١م بسبب إنعقاد المجمع الكنسي الرابع في إسكدار "خلقدونية" في هذه المرة أدانت الكنيسة الفكر القائل بطبيعة واحدة للمسيح رقم (١) المتقدم . والقائل بأن المسيح إله فقط (بجسد يبدو في صورة آدمية) ، وعارضت هذا الرأي وقالت بنقيضه وهو فرضية وجود إتحاد بين المسيح والله ، والإثنين في المسيح "غير مختلط وغير منفصل" . وهذه المقولة التي تبدو متناقضة ظلت إلى يومنا هذا الدين الرسمي المعترف به كاثوليكياً[١].

وإذا كان هذا المجمع قديماً منذ ٤٥١م ، فإن بعض الباحثين المعاصرين من المسيحيين الغربيين قد أثار قضية طبيعة المسيح من جديد في عصرنا الحاضر يقول هوفمان "إن كلاً من بوف ليوناردو وهانزكونج البروفيسور السويسري الشهير في علم اللاهوت الكاثوليكي قد أدرجا من جديد على جدول الأعمال مناقشة طبيعة المسيح وما إذا كان الإنسان والله غير منفصلين في شخص واحد[٢].

ويعلق هوفمان على ذلك قائلاً " إن عرض القضية بهذا الشكل يدل على عدم إعتبار مؤتمر نيقية وخلقدونية . وكأن هذان المؤتمران التعسان لم يعقدا قط[٣] ولما كان هذا المجمع متناقضاً في

---

(١) السابق ١٥٦ .
(٢) يوميات ألماني مسلم ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
(٣) السابق ٢٠٤ .

شأن المسيح عليه السلام . هل هو إله أم إنسان ؟ وإذا كان طبيعتين فهل الطبيعتان منفصلتان أم مختلطتان ؟ فالتناقض واضح والاختلاف بيّن ولذلك نقده هوفمان بقوله "إن هذا المجمع متناقض[١] " كما وصف هذا المجمع ومجمع نيقية المتقدم بأنهما تعسان[٢] . أما تعاسة نيقية فلتأسيس التثليث وتعاسة خلقدونية فللإنشقاق الكنسي الذي حدث حول المسيح هذا ولم يذكر هوفمان غير هذه المجامع المتقدمة واقتصاره على ذكرها دون غيرها نظراً لأهميتها وخطورتها ، حيث تقررت فيها العقيدة المسيحية الحالية . فأولها قرر ألوهية المسيح . وثانيها قرر ألوهية الروح القدس وثالثها قرر أن له طبيعتين منفصلتين أو مختلطتين .

ومن خلال هذه المجامع التي ذكرها ونقدها نستنتج ما يلي :

١ ــ أن أهم هذه المجامع وأخطرها هو مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥م إذ فيه تقرر مصير البشرية ــ المسيحية على ما يريد المجتمعون كما يقول هوفمان وفيه أحرقت الكتب الأخرى المخالفة وقد بقيت الكنيسة قبله محرومة بلا كتاب لمدة أربعة قرون مما سمي فيما بعد بالعهد الجديد ــ وهنا تكمن الخطورة . إذ أن أقدم نسخ الأناجيل لم تكتب إلا بعد هذا المجمع .

٢ ــ موقف المجامع من المخالف كان الإفناء والإقصاء والحرمان والحرق دائماً مما يعطي خلفية تاريخية سوداء للكنيسة

---

(١) السابق ٢٠٣ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٦ .

عموماً وأنها تضيق ذرعاً بالمخالف من دينها فما بالك بمن يخالفها من غير دينها . كما يعطي دلالة على أنها لا تعرف التعددية ولا تؤمن بالرأي والرأي الآخر . وكان هذا دأبها على مدار تاريخها الطويل.

٣ ــ الدور الخطير الذي لعبه قيصر قسطنطين وغيره في هذه المجامع من تغيير واضح وتحريف فاضح للمسيحية من التوحيد إلى التثليث حيث بدا التأثير الظاهر بالمثيولوجية المصرية والأفلاطونية السكندرية الحديثة .

٤ ــ مخالفة هذه المجامع للغايات والأهداف وهو أهم ما يوجه إليها من نقد إذ المفترض فيها أن يجتمع الناس على عقيدة واحدة وقول واحد ورأي واحد ولكن للأسف كانت هذه المجامع من أعظم أسباب الفرقة وأشد أسباب الاختلاف بين الكنائس المسيحية فلم يخرج المجتمعون ولو مرة واحدة متفقين على عقيدة واحدة بل كلما اجتمعوا في مجمع كثر اختلافهم وزاد إنقسامهم .

٥ ــ من آثار هذه المجامع أيضاً الانشقاق الكنسي منذ القرن الخامس الميلادي وبالتحديد في مجمع خلقدونية ٤٥١م حيث تعتقد الكنيسة المصرية ومن على شاكلتها بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة في المسيح بغير اختلاط ولا امتزاج وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية وما يتبعها بطبيعتين ومشيئتين في المسيح وكان هذا الإنشقاق الإبتدائي

مقدمة للإنشقاق النهائي الذي فصل الكنيستين الشرقية والغربية في القرن الحادي عشر[١] .

ومما تقدم نعلم أن مصدر العقيدة المسيحية غير موثوق به ولا مصداقية له ، فالأناجيل محرفة ومزيفة وفيها التناقض والاختلاف والمجامع التي يفترض فيها أن تجمع الناس على عقيدة واحدة اختلفت وافترقت هي الأخرى كل مجمع يلعن الآخر ويطعن فيه ويذمه ، كلما دخلت أمة لعنت أختها فضاع الحق وتاهت الحقيقة وعاش الناس في صراعات وخلافات لا نهاية لها . الأمر الذي أفقد هذه المجامع قيمتها ومصداقيتها وجعلها في العراء بلا قيمة ولا كيان ولذلك كان مراد هوفمان على حق وموفقاً عندما وجه سهام نقده لمصدر العقيدة المسيحية " الأناجيل والمجامع " .

وإذا كانت المصادر بهذا الشكل المزيف فإن المقام عليها أشد زيفاً وهذا ما سنعرض له في نقد هوفمان للعقيدة عند المسيحيين .

(١) انظر فلسفة الفكر الديني لويس غرديه وجورج قنواتي ج ٢ / ٢٧٥ والمجامع المسيحية د/ الشتيوي ٢٦٩ ومحاضرات في النصرانية الشيخ أبو زهرة ١٢٩ .



الفصل الثالث

نقد هوفمان للعقيدة المسيحية

ويشتمل على مبحثين

الأول : نقده لعقيدة التثليث .

الثاني : نقده لعقيدة الصلب وما ترتب عليها

المبحث الأول

نقده لعقيدة التثليث

نقده لعقيدة التثليث

إن أبرز عقيدة عند المسيحيين "عقيدة التثليث" إذ يعتقدها ويدين بها كل الفرق والطوائف والمذاهب المسيحية بلا استثناء سواء في الشرق أو في الغرب حتى أصبحت أصلاً أصيلاً ومعلماً بارزاً عندهم .

فالله عندهم يشتمل على ثلاثة أقانيم أو أشخاص : الله الآب ــ الله الابن ــ الله الروح القدس ــ فالآب : إله تام والابن إله تام والروح القدس إله تام . ويقول علماؤهم : إن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا آلهة وإنما هم إله واحد وجوهر واحد وذات واحدة بسيطة غير مركبة(١).

(١) انظر التثليث د/ محمود حماية ١ .

جاء في دائرة المعارف البريطانية أنه " يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيراً صحيحاً بالكلمات الآتية ... إن الآب إله. والابن إله والروح القدس إله ، غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة وإنما هم إله واحد . ذلك أنه بينما نضطر طبقاً للعقيدة المسيحية أن نعتبر كلاً من هذه الأقانيم إلهاً ومولى . إذ المذهب الكاثوليكي ينهانا أن نعتبرها ثلاثة آلهة "(١) فالآب والابن والروح القدس ليسوا ثلاثة آلهة وإنما هم إله واحد فالثلاثة في واحد والواحد في ثلاثة . تثليث في توحيد وتوحيد في تثليث كيف ذلك ؟ .

قبل أن نجيب على ذلك يذكرنا هوفمان بالخلفية التاريخية لهذه المعضلة التي استعصت على العقل وتأبت عليه وعجز عن فهمها ومعرفة حقيقتها فيقول : " إن الجذور الأولى للتثليث كانت في مجمع نيقية ٣٢٥م حيث تبنى الأساقفة المجتمعون في هذا المجمع صيغة قدمها الإمبراطور الوثني قيصر قسطنطين تنص على أن : عيسى المسيح ابن الله هو الله نفسه ليس مخلوقاً ولكن محدثاً بواسطة الآب الإله ومن نفس جوهر الإله وبهذا تم وضع أساس عقيدة التجسيد المقدس ومن ثم عقيدة التثليث" (٢) .

---

(١) ما هي النصرانية محمد تقي العثماني ٣٧ .
(٢) الإسلام عام ٢٠٠٠م ١٩ ، ٢٠ ويوميات ألماني مسلم ٩٣ ، ٩٤ وإستدراكات مراد هوفمان على الإسلام د/ المطعني ١٧ ، ١٨ .

ويقول " تأسست عقيدة التثليث في مجمع نيقية عام ٣٢٥م ليس عن طريق إعلان أو تصريح ولكن فرضاً للعقيدة بالقانون وإفناء كل ما يخالفها من كتب ومخطوطات "[١] .

وإذا كانت عقيدة التثليث قد تأسست في هذا المجمع فإنها لم تكتمل فيه تماماً لأن الألوهية كانت للآب والابن فقط ، أما الروح القدس فقد أله في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م ومن مجموع قرارات هذين المجمعين إكتملت عقيدة التثليث عند المسيحيين .

وكان وراء هذا الثالوث شخصيتان كانا لهما أكبر الأثر سياسياً ودينياً في المسيحية هما قيصر قسطنطين وبولس الرسول . أما قيصر قسطنطين فقد تقدم الحديث عنه وأما بولس الرسول[٢]

---

(١) انظر الإسلام كبديل ٣٨ .

(٢) بولس الرسول . ولد في طرسوس سنة ٢م وقيل ١٠م وقيل ما بين ٥ ــ ١٠م تعلم صناعة الخيام وأرسل إلى أورشليم للدراسات الربّانية وتذكر المصادر أنه كان له عمل قيادي في اضطهاد المسيحية ذهب إلى دمشق ليعمل ضد المسيحيين فرأى المسيح قبل وصوله إلى دمشق وناداه لماذا تضطهدني . ومن بعد هذه الرؤية تحولت حياته من النقيض تماماً . قام برحلات عديدة إلى سوريا وإنطاكية وآسيا الصغرى وأوربا . ولنشاطه قبض عليه وأرسل إلى فيلكس الحاكم الروماني في قيصرية وأرسل إلى الإمبراطور الروماني وفي الطريق إلى روما أصيبت السفينة ولكنه نجا. توفي سنة ٦٧م . وله آثار خطيرة وآراء عجيبة في المسيحية غيّرت مسارها . حتى نستطيع أن نقول إن المسيحية هي مسيحية بولس أو المسيحية البوليسية . انظر في ترجمته عظماء قادة الأديان د/ عبد الجليل شلبي ١١٠ مؤسسة الخليج العربي القاهرة ط ١٤١٢/١هـ ــ ١٩٩١م والإرساليات التبشيرية له أيضاً والبحث القيّم الذي كتبه د/ حمدي عبد العال بعنوان "تحقيق القول في تحول بولس" مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت ١٨ ــ ٧٤ ع ١٦ شعبان ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م وقصة الحضارة ول . ديورانت ج ٢٤٩/١١ .

فيقول عنه هوفمان "والحقيقة أن كافة مظاهر الهرطقة في المسيحية مثل تأليه المسيح وفرضية الثالوث المقدس قد بدأت مع شاءول بولس"(١).

ويحاول المسيحيون ـــ علماء اللاهوت ـــ توضيح معنى الثالوث بضرب الأمثلة له . فمثلوا الثالوث بالشمس التي تحوي في ذاتها قرصاً وشعاعاً وحرارة ومثلوا له أيضاً بالتفاحة والشجرة وهذا الأمثلة متهافتة وساقطة يمكن الرّد عليها بسهولة وبساطة . فالشمس مثلاً واحدة وليست ثلاث كائنات مستقلة(٢).

ولما كانت هذه الأمثلة متهافتة وساقطة لا تقنع العقل ولا ترضي الفكر لجؤا إلى التفويض والتسليم محتجين بأن ذلك من أسرار الديانة وأمر فوق العقل وما على الإنسان إلا أن يسلم على طريقة (إعتقد وأنت أعمى) أو أغمض عينيك ثم اتبعني(٣) ولا داعي لإعمال العقل هنا .

يقول هوفمان " عندما يتورط المسيحيون في خطأ محاولة الدفاع العقلاني عن مذهب التثليث يأخذون أولاً في التذرع ببعض الألاعيب اللغوية وينتهي بهم التراجع زاعمين أن التثليث سر من الأسرار لذلك يستعصي على التفسير . وحول هذا الموضوع

---

(١) يوميات ألماني مسلم ٦٠ .
(٢) التثليث د/ حماية ٤ ، ٥ وقد نقل ذلك عن المبادئ المسيحية حبيب جرجس ٨٤ .
(٣) انظر الخصائص العامة للإسلام الشيخ يوسف القرضاوي ١٨٨ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط ١٤١٨/١٠هـــ ـــ ١٩٩٧م .

نشرت صحيفة "فرانكفورتر الجمانية تسايتونج" اليوم في باب "رسائل إلى المحرر" رسالة كتبها الدكتور جيرهارد موللر رئيس المحكمة العليا العمالية في ألمانيا سابقاً ، جاء فيها "أن الكنيسة لم تتصور في أي طور من أطوارها أن يكون للمسيح طبيعة مختلطة، أي نصف إله ونصف إنسان ، والصلة بين الله والإنسان (في شخص المسيح) من نوع فريد لا يستطيع المرء أن يجد له مثيلا في تاريخ الأديان .

لقد أخطأ السيد موللر لأن الاستشهاد بالتأسل[١] الديني لا يمكن أن يلفق بهذه البساطة " .

وطفق موللر يقول : إن السيد المسيح عرف دائماً على أنه الله لأنه باعتباره ابن الله السابق على وجوده فقد تمثل دائماً في الله ، وظل دائماً الله في أثناء قبوله (للصفة) الإنسانية من مريم أي بواسطة روح الله ، ويرقى هذا الحدث إلى حد إعتباره بمثابة بداية جديدة للبشرية ، أطلق مسيرتها المسيح على نحو لا رجعة فيه"[٢].

ويعلق هوفمان على ذلك فيقول " يا ليت جنابه كان قادراً على مقاومة إغراء ربط الكلمات العديدة التي لا معنى لها جنباً إلى جنب (ألا يجب على المسلمين أن يدينوا له بهذه الدعاية الضخمة غير المقصودة ؟)[٣].

---

(١) التأسل هو العودة لصفات الإسلام التي تم الإبتعاد عنها ــ مترجم يوميات ألماني مسلم ١٥٩ .
(٢) يوميات ألماني مسلم ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٣) السابق ١٦٠ .

وأقول على فرض التسليم بقوله " إنه بمثابة بداية جديدة للبشرية أطلق مسيرتها المسيح على نحو لا رجعة فيه "[١] فإن ذلك لا دلالة فيه على التثليث . ثم يواصل هوفمان كلامه ناقداً للتثليث فيقول " ألم يكن من الأفضل (والأكرم) أن يعلن المرء إفلاسه الفكري عندما يعهد إليه بتفسير "التثليث" ؟ .

ومما لا ريب فيه أنه كان من الأفضل للسيد رئيس المحكمة أن يتوغل قليلاً في التاريخ الشيق لفكرة التثليث ، سواء تكون من إيزيس وأوزوريس وحورس ، أو من الله الآب ومريم والمسيح ، أو من الله الآب وكلمة الله والمسيح .

وفي هذه الحالة كان على مستر موللر أن يعترف ــ مثلما فعل من قبله القديس يوحنا ، والقديس بولس ، وديونيسيوس المزعوم ــ بأنه قد أسلم نفسه للعبة التلاعب بالألفاظ التي قام بها لأول مرة أناس مثل أفلاطون والغنوسطيون ومن الإبتذال القول بأن (الأسرار الدينية) تستعصي على التفسير وهي كذلك بحكم تعريفها ولكن ليس هناك ما يمنعنا إطلاقاً من أن نقرر بداءة ما إذا كانت المسألة تتعلق بسر من الأسرار بالفعل أو أنها كما في حالة التثليث من نسج قلوب البشر وعقولهم .

لقد مضى ذلك الوقت الذي كان يمكن فيه للمسيحية أن تستفيد من فكرة التثليث خاصة عندما تنشر بين شعوب تؤمن بالتسلسل

---

(١) السابق ١٦٠ .

الهرمي للآلهة ، أما اليوم فإن التثليث لا يعدو أن يكون عبئاً على المسيحية[١].

إن تفسير معنى التثليث لا يعدو أن يكون تلاعباً بالألفاظ لإقناع العقول. وكان على موللر القاضي إذا كان عادلاً في حكمه أن يعلن إفلاسه في توضيح هذه المشكلة ، لقد مضى الوقت الذي كانت المسيحية تستفيد فيه من التثليث ، أما اليوم فإنه أصبح عبئاً ثقيلاً عليها وخاصة في ظل تقدم الدراسات اللاهوتية التي انتقدت التثليث وكشفت زيغه وزيفه وأي محاولة عقلية لتفسير التثليث محجوبة من قبل المسيحيين لأنها سرّ وإعجاز ، يقول هوفمان " يندهش المسلمون من المعرفة الواسعة والغريزة بطبيعة الله ونشاطه التي يدعيها المسيحيون ، خاصة أنهم يحاولون حجب فكرة التثليث عن أي محاولة تفسير عقلانية لأنها سرّ وإعجاز"[٢] . ويقول "إن الثالوث مسألة لاهوتية معقدة "[٣] .

وهذه الدهشة مسوغة خاصة إذا استمع المسلمون إلى تفسيرات مثل : إن الفعل الصادر عن الثالوث جميعاً كالفعل الصادر عن واحد منه وإذا كان فعل الثلاثة كفعل الواحد . وفعل الواحد كفعل الثلاث فلا يندهش المسلمون ، وكلام هوفمان هذا يستقيم إذا صدر الفعل الواحد عن الثالوث ولكنهم ـ أي المسيحيين ـ يقولون بأن كل واحد من الثالوث إله مستقل بذاته وكأني ألمح

---

(١) يوميات ألماني مسلم ١٦٠ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة هوفمان ١٦٠ .
(٣) السابق ٢٠٧ .

من بعيد في عبارته الآتية شيئاً من التبرير . يقول هوفمان "وهذه الدهشة مسوَّغة خاصة إذا استمعوا إلى تفسيرات مثل : إن كلاً من الشخصيات الثلاثة الإلهية المجمعة في الثالوث تقوم بما يجب عليها، بينما كل فعل الله خارج هذه الإلهية المثلثة هو فعل جماعي للشخصيات الثلاث الإلهية "[١] .

ودهشتنا منهم إضافة إلى ما سبق ليست لهذا الأمر دائماً ، وإنما لفساد عقيدتهم وإنتكاسة فطرتهم وبلادة عقولهم .

ويقول هوفمان أيضاً " والأمر نفسه يحدث ــ أي الدهشة ــ عندما نتحدث عن التركيب الآتي : ليس هناك ماهية للتثليث ولكن هناك تثليث"[٢].

ويفرق هوفمان بين الكنيسة الشرقية والغربية في فهم الثالوث ويرى أن الكنيسة الغربية حاولت إعمال العقل في هذه المشكلة بينما جعلته الكنيسة الشرقية لغزاً من ألغازها وسراً من أسرارها ، فيقول " يعتقد جون هيك[٣] John Hick أحد أبرز نقاد هذه الدوجما[٤]

---

(١) السابق ١٦٠ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٠ .
(٣) جون هيك : ولد سنة ١٩٢٢م في أسرة مسيحية إنجيلية وتعلم في بريطانيا وأصبح أستاذاً للاهوت في جامعة برمنجهام ومن أهم كتبه فلسفة الدين وأسطورة الإله المتجسد بالاشتراك مع ستة آخرين .
(٤) الدوجما : تعني في الأصل اليوناني : الرأي ــ الحل ــ وتعني في العهد القديم : الأمر الملكي والقوانين الملزمة بالنسبة لكل الرعايا وفي الجديد تستعمل بمعان مختلفة . ففي إنجيل لوقا تعني أمر قيصر بتسجيل السكان، وفي رسائل بولس : تعني التعريفات الكنسية التي لا ترد وهي المرجع ... ويميز اللاهوتيون بين الدوجما والكيرجيما : أما الكيرجيما

عن حق أن مجرد مناقشة التجسيد والثالوث قد سلبت الإثنين قدسيتهما ومكانتهما حتى صار الإثنان مجرد نظرية . ومن المحتمل أن ينطبق هذا الأمر على الغرب ، أما بالنسبة لكنائس الشرق الأرثوذكسية فإن دوجما وتعاليم الثالوث استطاعت أن تقف في وجه الزمن بشكل أفضل عما حدث في الغرب وربما يعود ذلك إلا أن علماء اللاهوت الشرقيين تعاملوا مع مسألة الثالوث كلغز وسرّ في حد ذاته بينما وقعت كنائس الغرب ضحية لمحاولتها تفسير هذا الدوجما بشكل عقلاني" (١) ". وأقول لم تصب الكنيسة الشرقية ولا الغربية في فهم الثالوث لأن النتيجة في كليهما واحدة سواء المحاولات العقلية التي بذلتها الغربية أو السرية التي قالت بها الشرقية .

وينتهي هوفمان إلى أن جميع المحاولات التي بذلها علماء اللاهوت والفلاسفة الكاثوليك والبروتستانت في فهم وشرح الثالوث قد باءت بالفشل فيقول : " أنفق علماء اللاهوت والفلاسفة الكاثوليك والبروتستانت كثيراً من الجهد والوقت في فهم وشرح التجسيد والتثليث بطريقة عقلانية وفشلوا دائماً . وهل كان يمكن غير ذلك؟.

فإنها الصيغ اللغوية التي يلحق بها التغيير والتي تتكيف والشروط الجديدة والأحوال المتغيرة ، وكانت في بدايتها محصورة في الوسط الكنسي ... وأصبحت الدوجما في اللاهوت البروتستانتي : تعني ماهية العقيدة المسيحية التي تحررت من الطابع الأسطوري ومن ركام الخيال والخرافات .." انظر مقال الأستاذ أبو بكر الشقاف حول الدوجما : الأدب مؤسسة الأيام للطباعة والنشر الصحفي الإثنين ٢٠٠٦/٢/٢٠م .

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٠ .

ولذلك لجؤا إلى الحجة التي لا ترد أن التجسيد والتثليث من أسرار الديانة[١] " هذا وقد استطاع هوفمان نقد القول بألوهية عيسى وبالتثليث من الناحية النقلية والعقلية والتاريخية .

١ ـ **الأدلة النقلية** : يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٢]. ويقول : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ [٣] وجاء في سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [٤]. ويقول تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِك اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٥] ، ﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [٦] ، ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [٧] ، ويقول : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا

(١) الإسلام عام ٢٠٠٠م ٢٠م .
(٢) آل عمران آية ٥٩ .
(٣) المؤمنون آية ٩١ .
(٤) الإخلاص كاملة .
(٥) آل عمران آية ٤٧ .
(٦) آل عمران آية ٥٠ .
(٧) آل عمران آية ٨٤ .

ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (١) ويقــول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنــتَهُوا عَمَّا يَقُولُــونَ لَيَمَســَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَــذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).." (٣) ويقول تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَانظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤)..." (٥) ويقول تعــالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾(٦) .

والقرآن لم يرفض تأليه عيسى فقط وإنما يرفض تأليه أمه كذلك قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي

(١) النساء آية ١٧١ .
(٢) المائدة آية ٧٣ .
(٣) الإسلام عام ٢٠٠٠م ٢٠ ، ٢١ .
(٤) المائدة آية ٧٥ .
(٥) الطريق إلى مكة .
(٦) المائدة آية ١١٠ .

وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ......﴾ ...الآيات"[١] . ويبين القرآن أن مريم كابنها لم يكونا إلا آية من آيات الله المعجزة قال تعالــى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ﴾ [٢]..." [٣].

هذه الآيات السابقة تدل دلالة واضحة على أن عيسى عليه السلام ليس إلهاً ولا ابن إله وإنما هو رسول من البشر أنزل الله عليه الآيات وأيّده بالمعجزات كسائر إخوانه من الأنبياء والرسل في الأمم السابقات . وأمه لم تكن إلهاً أيضاً وإنما كانت امرأة من المؤمنات الصالحات، كما تدل على بطلان التثليث وكفر القائلين به. يقول هوفمان (إن عيسى مثل محمد أكد أنه بشر مثل باقي البشر ولم يتأثر المسلمون بما قاله المسيحيون عن عيسى وتمسكوا بما جاءهم في القرآن الكريم "[٤] .

ويقول (إن المسلمين يرون عيسى رسولاً ولد بمعجزة من مريم العذراء ، ليس ابن الله وليس متحداً في الجوهر مع الله ، كما تقول العقيدة المسيحية ، بل هو عبد الله) [٥] . ويقول (إن القرآن يرفض بحزم وحسم ووضوح مفهوم التثليث) [٦]. ويقول (إن هذه

---

(١) المائدة آية ١١٥ ــ ١١٨ .
(٢) التحريم آية ١٢ .
(٣) راجع هذه الأدلة في كتاب الإسلام في الألفية الثالثة ٣٥ ــ ٣٧ .
(٤) انظر الإسلام عام ٢٠٠٠م ٢٠ ، ٢١ .
(٥) الإسلام في الألفية الثالثة ٣٦ .
(٦) السابق ٣٦ .

السورة "سورة الإخلاص" رفض موضوعي وقاطع لما أقره مجمع إزنك الكنسي ويقصد بذلك مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م[١] الذي قرر ألوهية المسيح .

ويفضل هوفمان القول في النهاية مقرراً أن القول بالتثليث كفر بالله وشرك به"[٢] " .

٢ ـ **الناحية العقلية** : إن الذي حيّر العقلاء جميعاً أن يكون التثليث توحيداً والتوحيد تثليثاً . إن البداهة العقلية والفطرة الإنسانية والمبادئ الرياضية تقول باستحالة ذلك والذي استقرت عليه العقول منذ خلق الله البشر أن ١ + ١ + ١ = ٣ ولكن المسيحيين يقولون ١ + ١ +١ = ١[٣].

وهذه الحيّرة إعترت كثيراً من العلماء السابقين والأئمة المتقدمين من أمثال الجاحظ[٤] والرازي[٥] وابن تيمية[٦]وابن القيم[٧].

---

(١) انظر الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٩ .
(٢) يوميات ألماني مسلم ١٠٠ .
(٣) التثليث د/ حماية ٢ .
(٤) انظر المختار في الرد على النصارى للجاحظ ٣٢ ، ٩٥ مع دراسة تحليلية تقويمية للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة ط ١/١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .
(٥) التثليث د/ حماية ٩ ، ١٠ .
(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج ١٥٥/٢ مطابع نجد التجارية بالسعودية د / ت .
(٧) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٣٧ ، ٣٨ ت د/ أحمد حجازي السقا المكتبة القيمة بالقاهرة ط ٢ / ١٣٩٩هـ .

ورحمة الله الهندي[١] والباجه جي زادة[٢] وغيرهم .

وقد ذكر هوفمان جملة من الأدلة العقلية على بطلان ألوهية المسيح والتثليث نوردها كما يلي :

(أ) يقول هوفمان في مجمع إسكدار (خلقدونية) أدانت الكنيسة الفكر القائل بطبيعة واحدة للمسيح ، ويقصد بذلك أن المسيح إله فقط تجسد في صورة آدمية وعارضت هذا الرأي وقالت بنقيضه وهو فرضية وجود إتحاد بين المسيح والله ، والإثنين في المسيح غير مختلط وغير منفصل . وهذه المقولة التي تبدو متناقضة ظلت إلى يومنا هذا الدين الرسمي المعترف به كاثوليكياً[٣]". ويعني ذلك أن الاتحاد بين المسيح والله بطريقة غير مختلطة وغير منفصلة أمر باطل عقلاً لأنه متناقض كيف يكون هناك إتحاد بلا اختلاط ولا انفصال ؟ إن هذا النقد يوجهه هوفمان إلى الكنيسة الكاثوليكية التي تسود الغرب والتي كان يدين بتعاليمها شطراً كبيراً من حياته قبل إسلامه .

(ب) إن القول بألوهية المسيح كان في مجمع نيقية ٣٢٥م والقول بالتثليث كان في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م وما قرر فيهما كان من وضع البشر غير المعصومين كما تقدم . ولا يصح

---

(١) إظهار الحق رحمة الله الهندي ج ٧٢٥/٣ ت محمد أحمد خليل ط السعودية ٤/ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
(٢) الفارق بين المخلوق والخالق الشيخ عبد الرحمن الباجة جي زادة ٨ ، ٩ مراجعة عبد المنعم درويش ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٦ .

في منطق العقل والشرع أن تكون أمور العقيدة من وضع البشر المنقطعين عن الوحي ، إذ الأصل في العقيدة أن يقررها الله تعالى ورسله الذين يتلقون الوحي عنه .

(جـ) أن المسيح الذي ألهه المسيحيون وجعلوه أحد الأقانيم في الثالوث لم يقل إني إله ، ولم يقل إني ثالث ثلاثة ولم يبشر بذلك، بل كان يدين بالتوحيد ويعتنق ككل اليهود مفهوم اليهود الصحيح عن الله ، وإذا لم يقل المسيح إني أنا الله أو ابن الله ، فهل من المعقول أن أجعله أنا كذلك ؟ .

يقول هوفمان (وعلى أي حال لم يشر عيسى من قريب أو من بعيد إلى التثليث بل إعتنق ككل اليهود المسيحيين مفهوم اليهود الصحيح عن الله)[١] ويقول أيضاً فيما نقله عن الدكتور شفارتستاو " إن يسوع الذي عرفه التاريخ لم يكن ليتسامح في تأليه شخصه"[٢].

فهل نترك ما قاله المسيح ونكذبه ونصدقهم فيما كذبهم فيه ، إن العقل يقضي بكذبهم لا بتكذيبه ويحكم بعدله وينطق بظلمهم .

(د) يتساءل هوفمان قائلاً : لماذا لا يوجد رباعي مقدس ؟ وهو استفهام معقول ، لماذا لا يوجد رباعي مقدس ؟ وخماسي مقدس إلخ ؟ طالما أن هناك ثلاثي مقدس . يمكن أن يتصوره الإنسان . وإذا كانت نظرية الفيض ـ المولود الأول ـ أي نظرية الفيض والتي تصدر عنها الكثرة تتماثل في طبيعتها مع نظرية العلة

---

(١) الإسلام كبديل ٣٨ .
(٢) انظر يوميات ألماني مسلم ١٢٣ .

الأولى . فلماذا لا يشارك فيض ثان في هذه القضية ؟ . وهل كان لفكرة الثالوث المقدس أن تتطور إن لم يكن آباء الكنيسة غير عالمين بفلاسفة ما بعد أفلاطون من أمثال بلوتينوس وبروكلوس الذي ميّز في كتابه Liber de causis بين الوجود " الآب " و"السبب" و "الروح القدس" و "الروح الابن" إن رباعية الفيض تعتبر روحية غنوسطية[١] بقدر ما هي مسيحية[٢].

فالثالوث المقدس ـــ أو الرباعي المقدس ـــ ونظرية الفيض والعلة الأولى والمجامع كلها أعمال بشرية يعتريها ما يعتري أعمال البشر من خطأ وصواب ومن حق وباطل . ويستبعد العقل أن تكون العقيدة التي هي أساس نجاة العبد في الدنيا والآخرة من أعمال البشر وأفكارهم .

٣ ـــ **الناحية التاريخية** : يذكر مراد هوفمان في معظم كتبه أن قضية ألوهية المسيح والتثليث باطلة ومزورة من الناحية التاريخية ، لم تعرفها المسيحية في مراحلها التاريخية الأولى ولم يأت بها السيد المسيح ولم يقلها. كما أنها أسطورة رمزية تسربت إلى المسيحية من الموروثات الشرقية يقول هوفمان " لم تعرف المسيحية الأولى فكرة الثالوث أو حتى تلميحات عنها حتى عند بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية .وهذا القول ليس مثاراً للدهشة،

---

(١) الغنوسطية : هي الإيمان بأن المادة شر وأن الخلاص يأتي من المعرفة الروحية . انظر الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة ج ٢ / ١١١٣ .

(٢) يوميات ألماني مسلم ٧٥ .

لأن القول المؤسس لفكرة الثالوث في الرسالة الأولى ليوحنا لم تظهر إلا عام ٣٨٠م في أسبانيا وهي ثلاث موجودة هم شهود في السماء : الآب . والكلمة . والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد .." (١).

وقد تمكن الباحثون منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا من إثبات أن هذه الآية بالإضافة إلى الإصحاح الذي يتحدث عن الزانية في إنجيل يوحنا(٢) يعد من حالات التزوير الواضحة والظاهرة والمهمة جداً في العهد الجديد(٣)

وإنك لتجد على سبيل المثال في الطبعة الكاثوليكية للعهد الجديد التي احتفظ بها ... وصرح بطبعها أسقف مدينة رتنبورج Rottenburg عام ١٩٤٠م هذه الفقرة موضع الخلاف في الرسالة الأولى ليوحنا وهي بين قوسين معكوفتين وإشارة في الهامش تقول: هذه الفقرة موضوعها ومضمونها صحيح ولكنها إضافة وتكملة متأخرة "(٤) .

فمقولة التثليث هذه لم تظهر إلا في القرن الرابع الهجري سنة ٣٨٠م يعني في مجمع القسطنطينية ، وقبل هذا التاريخ لم يكن للثالوث أصل في المسيحية .

---

(١) انظر رسالة يوحنا الأولى ٥ / ٧ / ٣٩٠ الكتاب المقدس .
(٢) إنجيل يوحنا ٨ / ٢ ــ ١١ / ١٦١ .
(٣) منذ ذلك الوقت يبدأ الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا في بعض الطبعات الإنجيلية للعهد الجديد بدءاً بالآية رقم ١٢ انظر هامش ٢ في الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٤ .
(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ١٥٤ .

كما يذكر مراد هوفمان أن كثيراً من علماء اللاهوت أكدوا هذا التزوير في كثير من نصوص العهد الجديد فيقول " وقد عبر كثير من علماء اللاهوت عن إستيائهم البالغ من تزوير بعض الوثائق الكاملة مثل رسالة بولس الثانية وكذلك الرسالة الثانية لبطرس ، وكذلك جميع المواضع الخاصة بمسألة الثالوث ومن ضمن هذه المواضيع رسالة يوحنا الأولى[١] أمر التعميد باسم الآب والابن والروح القدس[٢] .." [٣].

وينقل هوفمان عن جون هيك John Hick أن عملية تأليه عيسى وجعله الشخص الثاني في مسألة الثالوث طريقة أسطورية ورمزية للتعبير عن قيمة عيسى ومكانته فيقول " ولقد عدّ Hick تأليه عيسى والتي جاءت زمنياً في وقت لاحق لحياته وتحويل عيسى إلى الشخص الثاني في مسألة الثالوث الإلهي المقدس طريقة أسطورية ورمزية للتعبير عن معنى وقيمة عيسى . لقد تحولت صورة عيسى إلى أسطورة أو إلى نظرية تشبه نظرية الإغريق في تعدد الآلهة ، وعلاقة الإله الآب بأبنائه . ويقارن مراد هوفمان بين الإسلام والمسيحية من الناحية التاريخية ويجعل المسيحية ديانة شرقية، وكل ما فيها من عقائد وأحكام من الموروثات الشرقية القديمة . يقول هوفمان " إننا إذا قارنا الإسلام بالمسيحية من ناحية التاريخ الفكري لوجدنا أن المسيحية تعد ديناً شرقياً أكثر من

(١) رسالة يوحنا الأولى ٥ / ٧ / ٣٩٠ .
(٢) انجيل متى ٢٨ / ١٩ / ٥٥ .
(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٩ وهامش ١٣ من نفس الصفحة .

الإسلام، لأن المسيحية على نقيض الإسلام . استوعبت عناصر كثيرة بجانب ميراثها اليهودي الموسوي (نسبة إلى النبي موسى) من الديانات ومدارس الفكر الشرقية مثل الزرادشتية والمانوية والمزدكية والأفلاطونية الجديدة والغنوصية والعبادات السرّية الروحانية وتأثيرات إيرانية . ففكرة التجسيد والثالوث والأسرار الإلهية والرهبنة والكهنوت ، كلها موروثات شرقية قديمة . وإذا تعاملنا مع الإسلام بالمعيار الأساسي للتنوير وهي العقلانية لأثبت الإسلام أنه مهيأ تماماً ليتماشى مع التنوير ، الإسلام مقارنة بالمسيحية يخلو من الأسرار والغموض ، والإسلام لا يعرف الزيف الموروث ولا التجسيد ولا الثالوث ... ولكنه يعرف معجزة الوحي القرآني فقط "[١].

وقد أكدت الدراسات اللاهوتية الحديثة التي قام بها جمع كبير من علماء اللاهوت المعاصرين من ذوي الثقافات المختلفة والاتجاهات المتباينة نقد هوفمان للتثليث ، حيث قاموا بمحاولات جادة ودراسات متميزة في هذا المجال ، والمرجو أن يتأمل المسيحيون المعاصرون ـ العاديون ـ وأصحاب الرأي والقرار هذه الدراسات بعقولهم الحرّة ليدركوا ما هم فيه من ضلالات وخرافات لا تتفق أبداً مع ما توصلوا إليه من منجزات وإنجازات في العصر الحديث .

---

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ٢٠٠ ، ٢٠١ .

وإتباع مراد هوفمان نقده السابق بتلك الدراسات الغربية الحديثة فيه ميّزتان :

الأولى : أنه لم ينقطع عن الغرب وما يموج فيه من أبحاث ودراسات للديانات والتيارات الفكرية المعاصرة ــ بعد إسلامه ــ بل كان متابعاً لكل ما يطبع وينشر فيه والمتابعة من شأنها إثراء الفكر وتميز الكتابة .

الثانية : أنه لم يكن تقليدياً في النقد ، وإنما كان منهجياً يخاطب العقل ويستثير الفكر وهذا ما يحتاجه الغرب في الخطاب الديني[١] كأنه يقول لهم لماذا لاتقرؤن هذه الأبحاث وتلك المؤلفات وهي في بيتكم ولأناس يعيشون بين أظهركم ؟.

وقد أفاض مراد هوفمان في الحديث عن هذه الدراسات وتلك الإتجاهات في أكثر من كتاب له في (الإسلام عام ٢٠٠٠م) [٢] و(الإسلام في الألفية الثالثة) [٣] والإسلام كبديل[٤].

يقول عن هذه الدراسات الحديثة " لاح في المائتين سنة الماضية في العالم الإسلامي تعذر الاستمرار في قول اتخاذ الله ولد"[٥] .

---

(١) انظر المنصفون للإسلام في الغرب رجب البنا ١٠٣ دار المعارف القاهرة ط ٢ / ٢٠٠١م .
(٢) انظر الإسلام عام ٢٠٠٠م ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) انظر الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٧ ــ ١٧٤ .
(٤) الإسلام كبديل ٣٧ ــ ٤٠ .
(٥) الإسلام عام ٢٠٠٠م ٢١ واستدراكات مراد هوفمان على الاسلام د/ المطعني ١٨ .

ويقول " عاش في الغرب حتى ١٠٠ عام مضت أناس رفضوا بشكل فردي الرؤية المسيحية والدين ، من أمثال "جوته" Goethe وغيره ولكن لم يشكل هؤلاء الأفراد حركة تمرد علنية معارضة لما تروجه الكنيسة من عقيدة . وقد بدات حركة التمرد هذه في الظهور في القرن التاسع عشر من خلال محاولة إجراء مراجعة نقدية تاريخية للمصادر المكتوبة التي تستمد منها المسيحية تعاليمها ، ولقد قام بهذه الحركة لاهوتيون وكان لها نتائجها المدمرة وأذكر في هذا الصدد أسماء بعض أساتذة علم اللاهوت من الكاثوليك والبروتستانت مثل Johen Hick . Emanuel Hirsch . Rudolf Bultmann . Hans Kung . Adolf Harnack وغيرهم الكثير. (لم تشارك الجموع المسيحية في هذه العملية ، خاصة أن عملية المراجعة هذه قد حرص القساوسة على حجبها عن الجماهير والتكتم على أمرها)[1] . ويقول توقف اللاهوتيون البروتستانت وبعض الكاثوليك عن تضليل أنفسهم وراء مصادر غير موثوقة ناهيك عن المتناقضات والمفارقات التي لا تعد ولا تحصى . وعن الإيمان بالأفكار الوثنية التي وجدت طريقها إلى الممارسات المسيحية ... يفسر ما سبق الزيادة الهائلة في عدد المؤلفات التي تتناول عيسى في الثلاثين سنة الماضية حيث يقع فهرست هذه الأعمال في أكثر من ٥٠٠ صفحة . كذلك ما أضعف أدلة تجسيد

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٨ .

الله في عيسى ، فحتى الأناجيل في صورتها الحاضرة لا تبين ذلك"[١] .

ويذكر هوفمان أن نقد العهد الجديد أصبح هماً كبيراً وشاغلاً عظيماً للباحثين في علم اللاهوت حتى يتوصلوا إلى ما وراء عام ٣٢٥م ليتمكنوا من إعادة إكتشاف المسيحية الحقيقية ذات الأصول اليهودية .[٢]

والحقيقة أن نقد المسيحية عامة ومسألة التأليه والتثليث خاصة قديمة وليست وليدة العصر الحديث كما يقول مراد هوفمان في المائتين سنة الأخيرتين بل قبل ذلك بزمن طويل منذ عصر الإصلاح الديني المعروف في القرون الوسطى وقد حمل عبئه مارتن لوثر[٣] زعيم الإصلاح في المسيحيين ثم كلفن[٤] من بعده . وبالرغم من كثرة الأصوات النقدية التي تضرب بقوة في عمق العقيدة المسيحية إلا أن الكنيسة وعلى رأسها القساوسة يحاولون حجبها عن الجمهور والتكتم على أمرها حرصاً على منزلتهم وخوفاً على مكانتهم . ولو انتشرت هذه الدراسات في الشرق والغرب على السواء وأتيح لها الحرّية الكاملة لتغير وجه المسيحية. وقذف الناس هؤلاء القساوسة بالحجارة ، وأنهم مهما فعلوا فلابد أن ينتصر الحق ويعلو صوت الحقيقة ، والله غالب على أمره ولكن

---

(١) الإسلام كبديل ٣٨ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٠ .
(٣) محاضرات في النصرانية الشيخ أبو زهرة ١٦٢ ــ ١٦٥ .
(٤) السابق ١٦٦ ، ١٦٧ وإستدراكات مراد هوفمان د/ المطعني ١٩ ، ٢٠ .

أكثر الناس لا يعلمون . وقد ذكر هوفمان نماذج كثيرة من الدراسات اللاهوتية في نقد المسيحية "التأليه والتثليث" فذكر منها نموذجين :

النموذج الأول : قام به John . Hick الأستاذ البريطاني المعروف ، ذكر في هذه الدراسة أن عيسى إما أن يكون إنساناً فقط، وإما أنه لم يكن إنساناً على الإطلاق ، وإختار هيك بشكل مطلق أن يكون عيسى إنساناً فقط[١] . لقد رأى هيك أن عيسى كان إنساناً فقط أختاره الله ليحمل رسالته الإلهية وأنه لم يكن معصوماً من الخطأ أو الخطيئة[٢] .

ونحن نوافق هيك في قوله بإنسانية عيسى وبشريته ونبوته وأن الله قد إختاره ليبلغ رسالته إلى بني إسرائيل ولكننا لا نوافقه على قوله بعدم العصمة فالأنبياء معصومون من الذنوب والخطايا قصداً وعمداً أو تأويلاً حاشا السهو والنسيان. وحكى الإمام الرازي اجتماع الأمة على ذلك وقال : " والقول الذي نقول به : أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد ، أما على سبيل السهو فهو جائز ... وذكر خمس عشرة حجة على ذلك .."[٣] .

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٢ .
(٢) السابق ١٧٢ .
(٣) انظر عصمة الأنبياء للإمام فخر الدين الرازي ٣٩ ، ٤٠ تقديم ومراجعة محمد حجازي الناشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط ١ / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

وأنهم لو وقعوا في الذنوب وارتكبوا الكبائر لتساووا مع عامة البشر ، ولكان اصطفاء الله لهم عبثاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٣] . وقال في حق إبراهيم : ﴿ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ ﴾[٤] . وفي حق موسى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي ﴾[٥] فالاصطفاء مانع من فعل الذنوب والخطايا[٦] .

ويبدو أن جون هيك بالغ في إنسانية المسيح وبشريته لدرجة جعلته كسائر البشر الذين لا يعتصمون بوحي ولا تكون لهم عناية أو رعاية إلهية، وكأنه أراد أن يقول إن الذي يخطأ ويقع منه الذنب بإعتبار بشريته لا يكون إلها لا ابن إله . ويقول هيك " وتحويل عيسى إلى الشخص الثاني في مسألة الثالوث الإلهي المقدس " طريقة أسطورية ورمزية للتعبير عن معنى وقيمة عيسى . لقد تحولت صورة عيسى كابن للرّب إلى نظرية أشبه ما تكون بنظرية الإغريق في تعدد الألهة وعلاقة الإله الآب بأبنائه[٧] .

---

(١) ص آية ٤٧ .
(٢) الحج آية ٧٥ .
(٣) آل عمران ٣٣ .
(٤) البقرة آية ١٣٠ .
(٥) الأعراف آية ١٤٤ .
(٦) عصمة الأنبياء للرازي ٤٤ .
(٧) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٢ .

إن نظرية Hick التي تدعو إلى إلغاء ونفي فكرة التجسيد ترتكز إلى حقيقة أن عيسى نفسه لم يتحدث في أي لحظة عن نفسه كإله أو عن ثالوث إلهي[١] " فلم ألهتموه ؟!

النموذج الثاني : قام به عالم اللاهوت الكاثوليكي السويسري هانز كونج Hans Kung وفيه ناقش طبيعة المسيح عليه السلام والتثليث مناقشة علمية صحيحة هادفة ، واعترف فيه بهشاشة النصوص الأصلية " العهد الجديد " يقول هوفمان " هناك اتجاه يمثله اللاهوتي السويسري "هانز كونج" يعترف بهشاشة النصوص الأصلية بشجاعة وبلا مداراة ولا يلجأ إلى زخرف الغنوصية أو الكلمات الرنانة ... يحاول كونج حل المعضلات التاريخية والوجودية بالتضحية بعقيدة يتعذر الدفاع عنها .. وذلك بإعطاء تعريفات جديدة فيصبح عيسى مختاراً من الله ومخوّلاً من الله ، ويصبح التثليث الوحي من الله إلى عيسى عن طريق الروح المقدس "[٢] .

استخلص كونج ذلك بعد ما تبين له الفرق الهائل بين مفهوم الآب والابن والروح القدس وتعاليم الكنيسة الخاصة بالتثليث مع ما تقول به الأناجيل لم يجد فيها شيئاً يصلح أساساً من قريب أو من بعيد لعقيدة التثليث" [٣]

(١) السابق ١٧٣ وقد نقل ذلك عن John Hick التعدد والتنوع الديني والحق المطلق في Rirste ص ١٤٦ .
(٢) الإسلام كبديل ٣٩ .
(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٣ .

ويذكر كونج أن عيسى إنسان إختاره الله وأيده بالقوة المطلقة وأن له ربّاً كربّ إبراهيم ، وليس هو الربّ يقول هوفمان " يعترف كونج من ناحية بربّ إبراهيم وربّ عيسى دعا بوصفه مختاراً من هذا الربّ له باسمه ـــ أي أن عيسى إنسان مميز فريد إختاره الله وأعطاه قوة مطلقة أي أن التثليث يتضاءل هنا إلى حد " وحي الله في المسيح من خلال الروح "[1] ويقول " إن عيسى عليه السلام ليس فريداً ولا مميزاً وإنما هو كسائر إخوانه من الأنبياء والرسل السابقين الذين خصّهم الله بالرسالة وأيّدهم بالمعجزة " ومعنى ذلك : أن المسيح ليس إلهاً ولا ابن إله ولا متحداً معه في الجوهر . وليس الوحي ذاتاً إلهية[2] وهذه النظرة للمسيح نظرة إسلامية كما يقول مراد هوفمان وهي تعضد القول بأن المسلمين هم المسيحيون الأفضل ، وبالتالي الأقدم وفي القرآن تجد المسيح اليهودي[3] كما اكتشف ذلك كونج .[4]

ويرتب هوفمان على ما سبق نتيجتين : إحداهما إيجابية والأخرى سلبية

---

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٣ .
(٢) الإسلام كبديل ٤٠ .
(٣) المقصود بالمسيح اليهودي أي المسيح البشر الذي يقول : إن الله ربّي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " آل عمران آية ٥١ وذلك طبقاً للتوحيد اليهودي الصحيح الذي لا تغير فيه ولا تبديل انظرها من ٤٠ الإسلام كبديل .
(٤) الإسلام كبديل ٤٠ .

أما السلبية فهي على المسيحية ويذكرها هوفمان بقوله " يعذر الإستمرار في قول اتخاذ الله ولد ... وفي الواقع يشرح فقدان المصداقية الواضح في عقيدة الكنيسة في عيسى وانتشار الإلحاد واللاأدرية وهجران الكنائس وتحول الناس إلى مذاهب أخرى"(١) .

ويقول إن هذه الأزمة ستدفع بالكنيسة إلى فنائها ويعجل بالقضاء عليها وبنهاية المسيحية المرتبطة بالكنيسة وسيؤدي ذلك إلى زيادة شعور الجماهير بالاغتراب عن الدين عامة وزيادة رغبة الإنسان الفرد بإنتقاء ما يريد ويناسبه من المعروض في سوق الديانات والمعتقدات والتي هي أشبه بالسوبر ماركت"(٢) إن هذا التطور السابق ذكره والتي تشهده علوم اللاهوت المسيحي وتعاليم المسيحية لا يصل إلى مدارك الجموع المؤمنة التي تذهب أيام الآحاد إلى الكنيسة لأن المسيحية تشهد حالة من الانفصال العميق بين التقوى والورع وبين العلم أشبه ما تكون بحالة الشيزوفرانيا(٣).

فبالرغم من الزلزال الذي ضرب علم اللاهوت لا يمكن إلا أن نتوقع استمرار الجموع البسيطة من الكاثوليك في بولندا وكرواتيا وإيرلندا وأسبانيا في المشاركة في المواكب التي تقام إجلالاً وتقديساً لأم الإله "(٤) .

---

(١) الإسلام عام ٢٠٠٠م ٢١ واستدراكات مراد هوفمان على الإسلام د/ المطعني ١٨ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٤ .
(٣) الشيزوفرانيا : حالة انفصام مرضية تحدث للأشخاص المصابين بالأمراض النفسية والعصبية فتأمل هذا الوصف الدقيق الذي وصف به هوفمان المسيحية المعاصرة .
(٤) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٥ .

وأما الإيجابية فهي للإسلام والمسلمين :
ويتمثل ذلك في :

١ ـ دخول كثير من المسيحين المعاصرين في الإسلام ومازلنا نسمع عن الذين تركوا مسيحيتهم لأنها لا تتناسب مع العقل والفطرة إلى الإسلام الذي يخاطبهما ويحترمهما . إن الإسلام لا يعرف كنائس ولا بابوية ولا قرابين ولا قداديس ولا عقائد محيرة كتجسيد الله في المسيح عليه السلام ، أو الثالوث المقدس أو الخلاص على الصليب أو الخطيئة الموروثة ويستبشرون ـ أي الشباب المسيحي ـ عندما يعلمون أن المسلمين هم أكثر المؤمنين عتقاً وتحرراً لأنهم لا يصدقون بوساطة كاهن أو شفاعة قديس عندما يقفون بين يدي الله خاشعين في صلاتهم ولابد أن يعجب هؤلاء عندما يعلمون أن كل مسلم مهما كانت منزلته الاجتماعية مؤهل ليؤم الناس في الصلاة "(١) .

ويقول هوفمان " طلب هانز كونج من خصومه الساخطين في الكنيسة الكاثوليكية أن يحاولوا فهم الإسلام وأن يؤدوا واجبهم ولو مرة واحدة تجاه هذه الديانة العالمية التي طال تجاهلها . ويبدو أن بعض القساوسة الكاثوليك قد استجابوا لهذه الدعوة حيث اعتنق الإسلام قسيسان تابعان لأبريشية باريس مؤخراً . وجملة القول أن تقدير الأستاذ كونج بأن الغربيين لا يعرفون إلا النذر اليسير جداً عن الإسلام هو تقدير صائب . اللهم إلا استثناء القلة الضئيلة للغاية من المثقفين والفنانين الغربيين الذين اكتشفوا الإسلام أمثال

(١) نظام الحكم في الإسلام مراد هوفمان ١٠٩ ، ١١٠ .

النمساوي ليوبالدفاس " محمد أسد " والبريطانيين ريتشارد بيرتون ومارمادوك بكتال ومارتن لنجز وكات استيفنز والفرنسيين لويس ماسينيون ورينيه جينو .. وغيرهم.[١]

٢ ــ إن رفع هالة القداسة عن المسيح عليه السلام وتخليصه من المسحة الأسطورية والملحمية تفتح الباب واسعاً أمام مصالح المسيحية مع غيرها من الديانات والمعتقدات غير المسيحية وخاصة الإسلام .

كما أن الإمكانيات التي تنتجها عملية التصحيح هذه مذهلة لأنه إذا ما توطدت فكرة أن عيسى مجرد رسول الله وهي مكانة عظيمة تحظى لدى المسلمين بتقدير واحترام بالغين وهذا كفيل برأب الصداع بين المسيحيين والمسلمين ، ذلك الذي أحدثه المجمع الكنسي في إزنك إن الأمر لا يتعلق بأن يشعر المسلمون أنهم على حق عندما تتطور المسيحية لتدرك أن المسيحية المذكورة في القرآن هي الصل وهي الصحيحة ولكن إذا حدث هذا فسيكون الإسلام قد أدى رسالته في إصلاح المسيحية وتخليصها مما علق بها من شوائب وتلفيقات وعاديها إلى أصلها . وبهذا يكتسب الحوار العالمي فرصاً جديدة ليس على المستوى الإنساني، فحسب بل كذلك على مستوى النظريات لأنه في هذه الحالة لن تصبح مسألة الطبيعة الإلهية لعيسى أحد المحرمات التي وردت في القرآن لمدة ١٤٠٠ عام قمري عملاً أتى ثماره واستحق هذا العناء والمثابرة "[٢] .

---

(١) يوميات ألماني مسلم ٢٢٤ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٥ ، ١٧٦ .

إن عمليات النقد التي قام بها علماء اللاهوت تجعل عيسى عليه السلام في مكانته البشرية ومن شأنها أن تحدث تطابقاً وتوافقاً مع القرآن الكريم في شأن عيسى عليه السلام وإذا تحقق هذا يكون الإسلام قد أكمل مهمته في هذا الميدان ويبزغ الأمل في حوار مسيحي يهودي إسلامي ولأول مرة في مجال العقيدة بعد أن كان محصوراً في الأعمال الاجتماعية ... ونتيجة لذلك قد يقبل المسيحيون في النهاية القرآن على أنه كتاب إلهي موحى به ومحمد كمبلغ للكتاب. (١)

وكل هذا مبني على تفهم الغرب المسيحي عامة والكنيسة خاصة لحقيقة عيسى عليه السلام كبشر أرسله الله لبني إسرائيل لهدايتهم فهماً كفهم كونج وغيره لعيسى عليه السلام ولو حدث هذا الفهم لكان التوفيق بين المسيحية والإسلام وارداً وممكناً كما يرى هوفمان. (٢)

وأقول لمراد هوفمان " إن المتابع للحوار المسيحي الإسلامي في تاريخه يجد أن المتحاورين في الفريقين ينطلقان من مبادئ وثوابت لا تقبل الحوار ولا المناقشة ولا حتى المماسة أو الاقتراب. فالعقيدة عندهم ثابتة لا يمكن تغييرها ومناقشتها وعقيدة المسلمين ــ وهي الأصل ــ لا تقبل التغيير ولا المناقشة ، إذ تغيرها كفر ومناقشتها ضلال وإلحاد ولذلك أصبح الحوار بين أتباع الديانتين يصب بعيداً عن مجال العقيدة والشريعة والأخلاق إلى مجالات

(١) الإسلام عام ٢٠٠٠م ٢٣ ، ٢٤ وإستدراكات مراد هوفمان د/ المطعني ١٩ .

(٢) الإسلام كبديل ٤١ ، ٤٢ .

أخرى كالسياسة أو محاربة الإلحاد واللاأدرية أو إقرار العدالة الإجتماعية والدعوة إلى حرية كافة البشرية والسلام العادل بين الإنسانية .. الخ "[١] .

(١) يراجع في ذلك إشكاليات الحوار الإسلامي المسيحي للباحث الطبعة الأولى .

المبحث الثاني
نقده لعقيدة الصلب
وما ترتب عليها

الصليب من أبرز وأهم القضايا العقدية في المسيحية ولا تقل أهميته عن التثليث شيئاً ، وربما كانت شهرة المسيحية بالصليب أكثر من شهرتها بالتثليث لأنه الأساس الذي تدور حوله العقيدة ، فمسألة النبوة والتأليه في نظرهم علة لمسألة الصلب(١) كما أنه رأس الإيمان عندهم(٢).

ويقول صاحب المنار " ترى دعاة النصارى المنبثين في بلادنا قد جعلوا قاعدة دعوتهم وأساسها عقيدة صلب المسيح فداءً عن البشر ، فهذه العقيدة عندهم هي أصل الدين وأساسه والتثليث يليها ، لأن أصل الدين وأساسه هو الذي يدعى إليه أولاً ويجعل ما عداه تابعاً له ... ولولا أن عقيدة الصلب والفداء هي أصل الديانة النصرانية عند أهلها لما كانوا يبدؤن بالدعوة إليها قبل كل شئ "(٣).

وقبل أن نذكر رأي هوفمان في قضية الصلب ونقدها يجب أن نذكر الجذور التاريخية لها على وجه السرعة . وبيانها : أن الله ــ كما يزعم المسيحيون ــ خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة وأحل

---

(١) انظر مشكلات العقيدة النصرانية د/ سعد الدين السيد صالح ١١٣ .
(٢) انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية محمد طاهر التنير ٨٣ ت د/ الشرقاوي .
(٣) انظر تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار الشيخ محمد رشيد رضا ج ٦ / ١٤ الناشر دار المعرفة بيروت لبنان ط الثانية د / ت .

لهما طيباتها ونهاهما عن الأكل من شجرة واحدة هي شجرة المعرفة ، وأوصاهما أن لا يقرباها. جاء في التوراة ما نصه " وأخذ الرّب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعلمها ويحفظها وأوصى الرّب الإله آدم قائلاً " من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر[١] فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت "[٢] لكن آدم ضعف أمام حيل الشيطان وتقول التوراة أنه كل من الشجرة المنهى عنها بإيعاز من زوجته جاء في سفر التكوين "فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل "[٣] . وهنا سقط آدم وحواء في الخطيئة فطردهما الله من الجنة ولعنهما وغضب عليهما وعلى أولادهما من بعدهما ، لأن الخطيئة تسربت منهما إلينا بالولادة والتناسل . فالبشرية كلها مخطئة بخطأ أبينا آدم وأمنا حواء . يقول بولس "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم . وبالخطيئة الموت هكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس . إذا أخطأ الجميع "[٤] .

---

(١) اختلف المفسرون في المراد من الشجرة التي نهي آدم وحواء عن الأكل منها ، فقيل هي السنبلة ، وقيل الزيتونة وقيل البرّ وقيل الكرمة وقيل العنب وقيل التنية وغير ذلك يقول الطبري والصواب في ذلك أنه لا علم عندنا أي شجرة على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا في السنة . ثم قال : وجائز أن تكون واحدة منها .. انظر تفسير الطبري ج ١/٢٣١ وأيّا كانت التفاسير فإنها شجرة حسّية . ولكن التوراة تقول إنها شجرة المعرفة . والقرآن صادق ولا يبعد أن يكون في التوراة تحريف أو تزوير .

(٢) سفر التكوين ٢ / ١٥ ــ ١٧ / ٥ .

(٣) التكوين ٣ / ٦ / ٦ .

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية ٥ / ١٢ / ٢٥٢ .

فالبشرية قد ولدوا خطاة بخطيئة آدم وحواء .

ولما أراد الله أن يرفع الخطايا عن البشر لم يجد مناصاً من أن يضحي بابنه عيسى عليه السلام ، حيث صلبه على الصليب كفاراً وفداءً عن خطايا البشر. ذلك أن آدم حين إرتكب الخطيئة لم يعاقبه الله عليها ولم يقتص منه، لأن جزاء الخطيئة الموت جاء في سفر حزقيال " النفس التي تخطأ هي تموت "[١]. ولكن الله لم ينفذ حكم الموت الجسدي في آدم ، بل أنقذه من هذا الموت بتوقيع الموت على حيوان عوضاً عنه . وإن كانت هذه الذبيحة الحيوانية في حد ذاتها غير كافية للفداء ، لكن لأنها كانت رمزاً إلى ذبيحة عظمى في نظر الله . لذلك اكتسبت وقتئذ شرعاً قوة الفداء "[٢] وبما أنه لا يساوي الإنسان إلا إنسان مثله فمن الواجب أن لا يكون حيواناً بل يجب أن يكون إنساناً . ويجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس الذين سيفديهم فالفادي مع وجوب كونه إنساناً يجب أن يكون خالياً من الخطيئة خلواً تاماً ومعصوماً منها . ويجب أن يكون شخصاً غير مخلوق ، يجب أن يكون ذا مكانة لا حد لها لسموها وإذا تصفحنا حياة الأشخاص الذين ظهروا في العالم نرى أن الفدا لشخص ليس سوى المسيح لأنه هو الذي توافرت فيه جميع الشروط [٣] ، ومن ثم استطاع أن يكفر عن البشر جميع خطاياهم

---

(١) حزقيال ١٨ / ٢٠ / ١٢٠٢ .
(٢) انظر فلسفة الغفران عوض سمعان ٨٠ المطبعة التجارية الكبرى القاهرة ومشكلات العقيدة النصرانية ١١٤ .
(٣) انظر فلسفة الغفران ١٢٤ .

حيث مكن اليهود منه وصلبوه فرفع عن البشر الخطيئة التي ألحقها آدم بهم وخرجهم من النار لأن الناس كلهم في زعم المسيحيين كانوا في جهنم قبل صلب عيسى بسبب خطيئة آدم حتى أرواح الأنبياء والرسل عليهم السلام"[١]

هذه هي الجذور التاريخية لقضية الصلب والتي أقيمت على فكرة الخطيئة الأولى لآدم عليه السلام كما يزعم المسيحيون .

وهذه القضية يرفضها هوفمان تماماً وينتقدها بشدة ليبطل ما أقيم عليها وما شيّد على بنائها ويرى أن الإسلام يرفض فكرة ولادة الإنسان مخطئاً بخطيئة أبيه آدم وأن الإنسان خليفة الله على الأرض وأن الخطيئة لا تتوارث فيقول " لا يقول الإسلام بأن الإنسان ولد ابناً للخطيئة وفي حاجة لمن يحرره منها ، بل يقول إن الإنسان خليفة الله على الأرض ولا يقول بتوارث الخطيئة ، ويجبل الناس على الاعتقاد بإثمهم الأزلي الذي يستحقون عليه اللوم الجماعي الأمر الذي له تأثيره السلبي كما علمنا علم الاجتماع . [٢] كما يرفضها الإسلام لأنها جبرية "[٣] .

ويلفت هوفمان النظر إلى أن فكرة التضحية بحيوان أو إنسان موغلة في القدم ومغرقة في الوثنية فيقول " إن فكرة إمكان شراء

---

(١) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية ج ٢ / ٢٨١ ــ ٢٨٣ تحقيق محمد سيد كيلاني مكتبة النور الإسلامية بيروت لبنان د / ت وفلسفة الغفران ١٨٧ والغفران بين الإسلام والمسيحية إبراهيم خليل أحمد ١٠٦ ، ١٠٧ دار المنار القاهرة ط ١ ١٤٠٩هــ ــ ١٩٨٩م.
(٢) الإسلام كبديل هوفمان ٣٠ ، ٣١ .
(٣) السابق ٤٠ .

الغفران في مقابل التضحية برجل أو امرأة أو حيوان تبدو موغلة في القدم ومغرقة في الوثنية وهي على وجه القطع مفهوم سابق على الاعتراف بالله الرحمن الرحيم وعندما برر الدوجماطيون من المسيحيين صلب المسيح " كتضحية ضرورية من خلال الموت" فإنهم كانوا يحاجون بنفس منطق العقيدة الوثنية عن التضحية ويقولون إنه كان على الرّب أن يضحي بنفسه من أجل أن يكون قادراً على العفو"[١]. ويناقش هوفمان المسيحيين الذين يؤمنون بفكرة الخطيئة ووراثة الذنب ومن ثم وجوب التضحية بطريقة عقلية منظمة من شأنها الإقناع والتسليم بأخطائهم وتفاهة أفكارهم وضلال عقائدهم لو أعملوا عقولهم قليلاً . فإذا كانوا يقولون بوجوب التضحية من أجل البشر وهو المسيح في اعتقادكم أنه الله فمعنى ذلك أنه ضحى بنفسه أو بجزء منه لنفسه أليس في ذلك تناقضاً واضحاً في الطبيعة الإلهية لمن يسمى بيهوه أو الرب أو الله.

يقول " وعندما يشير المسيحيون إلى " الله محبة " فإنهم لا يقصدون بذلك الإله الآب ولكن يقصدون المسيح والذي يصنفه إنساناً يمكن أن يكون ضحية ، بل وان يضحي بنفسه من أجل إخوانه ، بيد أن الله في الوقت الذي يقبل فيه الأضاحي إلا أنه في غنى عنها ومن ثم فإن الحاجة إلى أن يضحي بنفسه أو بجزء منه لنفسه تناقض مع الطبيعة الإلهية لمن نسميه بيهوه أو الرّب أو الله والله حرّ في أن يعفو إذا ما شاء ذلك بلا شروط أو إجراءات

(١) يوميات ألماني مسلم ٦٩ .

ويعتبر المسيحيون بهذه الطفرة العصرية المتمثلة في مفهوم " الله محبة " أما في الحقيقة فإن هذا المفهوم من المنظور الفلسفي واللاهوتي لمفهوم الله يعد خطوة للوراء .[١]

ويستمر هوفمان في هذه المناقشة العقلية فيقول لهم إذا كان على الله أن يضحي بنفسه ويصلب حتى يفدي بآلامه كل البشر فينجيهم من جهنم ويخرجهم منها ، فهذا يعني أن الله عاجز وغير قادر على إنقاذ البشرية إلا بخلق إله آخر يتألم ويصلب وكأن الله أصبح ضحية للإنسان الثائر ضده . إن هذا المعنى يتعارض تعارضاً كاملاً مع الله في الإسلام .[٢]

ثم ما هذا الإله الذي يضحي بنفسه وينقاد لأعدائه دون مقاومة أو مدافعة ؟ ألا يعد ذلك ضعفاً وخنوعاً وذلاً وهواناً ؟ إن الله في الإسلام على النقيض من ذلك تماماً ، فهو واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً . إنه المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص ، والغنى عن عباده والقادر الذي يهدي البشرية بواسطة أنبيائه دون حاجة إلى أن يتجسد أو ينجب أو يضحي بنفسه .

يقول هوفمان " أيّد المؤرخ الفرنسي "جاك ديليمو"[٣] الرأي الخاطئ والقائل بأنه ما دام يسوع المسيح هو الله . فإن الله يمكن أن

---

(١) يوميات ألماني مسلم ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٢) الإسلام كبديل ٤٠ .
(٣) جان ديليمو مؤرخ فرنسي مسيحي معاصر ويحتمل أن يكون من مواليد ١٩٢٥م أو ١٩٢٦م وهو من كبار المسيحيين المختصين في علم الأديان المقارنة واشتهر بتحاليله لظاهرة الدين والإيمان وهو من المؤمنين

يكون ضعيفاً وخنوعاً وعرضة للآلام ، وفي الحقيقة فإن الله وفقاً لهذا المنطق سوف يظل بتحمل الآلام ومن خلال كل هؤلاء التعساء والبؤساء الذين توجد المسيح معهم . وقد أدى هذا المنطق بديليمو إلى أن يعرب عن أمله في حدوث تغيرات كبيرة إلى الأفضل عندما يدرك الناس أن الله يعاني مثلنا ، بل أكثر مما نعاني من شرور هذا العالم التعس .

فهل تكمن الفضيلة في الشعور بالرثاء للرّب ؟ وعلى النقيض من هذه الاختلافات فإن نظرة الإسلام إلى الله لا يشوبها التهافت وإنما تتسم بمنطقها القوي وبوضوحها ، إنه سبحانه وتعالى كما صوز نفسه بنفسه في قرآنه . الواحد الأحد لم يلد ولم يولد ، ليس في حاجة إلى أن يتجسد أو ينجب أو يضحي بنفسه .." (١) . ويقول عن الضرورة التي يدعيها المسيحيون في التضحية بابنه المسيح : أي ضرورة هذه ؟! ومن ذا الذي يمكن أن يلزم الرّب بخضوعه لهذه الضرورة وأن يفرض على نفسه هذا الشرط ؟ ألا يشكل هذا النمط من التفكير تجديفاً صارخاً . (٢)

الكاثوليك له مؤلفات كثيرة منها : هل المسيحية ستموت ؟ صدر عام ١٩٧٧م ، وبماذا أو من ؟ صدر عام ١٩٨٥م ، وترقب الفجر . صدر تقريباً عام ٢٠٠٤م . ومؤلفات أخرى . انظر مجلة الفكر المسيحي التي يرأسها الأب يوسف توما ع ٣٩٥ خريران ٢٠٠٤م العراق . في مقال له تحت عنوان مستقبل الديانة هل المسيحية ستموت بقلم الأب يوسف توما الدمنيكاني رئيس تحرير مجلة الفكر المسيحي. العراق . الشبكة .

(١) يوميات ألماني مسلم ٢٠٥ وراجع مشكلة العقيدة النصرانية د/ سعد الدين صالح هامش ١ ص ١١٧ .

(٢) يوميات ألماني مسلم ٦٩ .

ويتفحص هوفمان آيات القرآن الكريم فيجد فيها ما يؤيد رأيه ويؤكد فكره ففي القرآن الكريم من الآيات ما ينفي توارث الخطيئة ـ آثام وأوزار الغير ـ من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) . وقوله : ﴿ مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (٢). وقوله : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾(٣) وقوله :﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

إن هذه الآيات مجتمعة تتفق على أن كل إنسان مسئول عن نفسه ولا يتحمل وزر أخرى ولا إثمها ، وهذه من الحقائق والركائز التي دعا إليها الإسلام وذكرها القرآن لتأكيد عدل الله وإنصافه ، كما تنفي هذه الآيات الوساطة بين الخالق والمخلوق . يقول هوفمان " إن من يقرأ هذه الآية ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . وما في معناها لابد من أن يصاب بصدمة شديدة في مبدأ حب الآخر الوارد في المسيحية والأخذ مأخذ الجد . إن هذه الآية لا تعبر عن مبدأ أخلاقي وإنما تتضمن مقولتين دينيتين تمثلان أساساً وجوهراً لفكر ديني هما :

---

(١) الأنعام آية ١٦٤ .
(٢) الإسراء آية ١٥ .
(٣) فاطر آية ١٨ .
(٤) الزمر آية ٧ .

١ ــ أنها تنفي وتنكر وراثة الخطيئة ٢ ــ أنها تستبعد وتلغي تماماً إمكانية تدخل فرد بين الإنسان وربه وتحمل الوزر عنه .

والمقولة الثانية هذه تهدد بل وتنسف مكانة القساوسة وتحرمهم من نفوذهم وسلطاتهم الذي يرتكز على وساطتهم بين الإنسان وربّه وتطهيرهم الناس من الذنوب والمسلم بذلك هو المؤمن المتحرر من جميع قيود وأشكال السلطة الدينية "[١] .

كما يحتج هوفمان على نفي الوساطة بين الخالق والمخلوق بآية سورة البقرة ــ آية الكرسي ــ وهي قول الله ﷻ : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [٢].. الآية . فيقول " إن أهم ما يلاحظ في القرآن من خلال هذه الآية أنه لا يعترف بوجود وساطة في العلاقة بين الفرد والرّب . فلا يجوز لأحد أن يتدخل في هذه العلاقة سواء أكان خليفة أم إماماً أم قديساً على نحو المفهوم المسيحي للطرف الثالث الوسيط "[٣] .

هذا وكان القول بنفي وراثة الخطيئة وذنوب البشر من الأسباب الرئيسية التي أقنعت هوفمان بالإسلام وغيرّت مجرى حياته ، يقول هوفمان في هذا الأمر مبيناً خطورته وما ترتب عليه

(١) الطريق إلى مكة ٣٨ .
(٢) البقرة ٢٥٥ .
(٣) يوميات ألماني مسلم ٦٩ ، ٧٠ .

من آثار " أما نفي وراثة الخطيئة وذنوب البشر فقد شكل أهمية قصوى ، لأنه يفرغ التعاليم المسيحية من عدة عناصر جوهرية مثل ضرورة الخلاص والتجسيد والثالوث والموت على سبيل التضحية وبدا لي تصور فشل الله في خلقه وعدم قدرته على تغيير ذلك إلا بإنجاب ابن والتضحية به ، أي أن الله يتعذب من أجل الإنسانية . أمر فظيع ومروع ، بل وتجديف وإهانة بالغة ، وبدت لي المسيحية وكأنها تعود لترتكز في أصولها على أساطير متنوعة ومتعددة وتبين لي جلياً الدور الخطير والشرير الذي لعبه بولس الرسول . ولقد قام بولس ــ والذي لم يعرف المسيح أبداً ولم يصاحبه في حياته ــ بتغيير بل وتزوير التعاليم اليهودية والمسيحية التي صاغها برنابه[١]، وترى في المسيح أحد رسل الله وأنبيائه . [٢]

---

(١) برنابا : هو أحد الحواريين الإثنى عشر الذين رأوا عيسى وسمعوا منه الرسالة والإنجيل السماوي وتعتبره النصارى رسولا من رسلهم الملهمين والذين كانت لهم اليد الطولي في التبشير بالنصرانية وفي الدعوة إليها . ويتحدث سفر أعمال الرسل عن برنابا بصفته داعيا مخلصا لدعوته حيث باع كل ما يملك من أجل التبشير بدعوة عيسى كما أنه الذي شهد لبولس بالإيمان ورافقه في رحلاته التبشيرية ولكنه افترق عن بولس بعد ذلك حين وجده يحرّف دعوة عيسى عليه السلام . وقد دار خلاف طويل بين العلماء والباحثين في صحة إنجيل برنابا فمنهم من أثبت صحة نسبته إلى برنابا ومنهم من رفض ذلك وكان من المثبتين د/ خليل سعادة في مقدمة إنجيل برنابا والشيخ رشيد رضا والشيخ محمد أبو زهرة انظر مقدمة إنجيل برنابا د/ خليل سعادة من ١٥ ــ ٢٥ دار البشير القاهرة ومقدمة الشيخ رشيد رضا فيه أيضا ٢٧ ــ ٣١ ومحاضرات في النصرانية الشيخ أبو زهرة ٥٦ ــ ٦٢ ومشكلات العقيدة النصرانية ١٦٥ .

(٢) الطريق إلى مكة ٣٨ .

وإذا كان هوفمان قد انتهى عند هذا الحد من نقد الجذور التاريخية لفكرة الصلب ، فإننا نضيف إلى ما ذكره وجوهاً أخرى وهي كالتالي :

(أ) إن آدم عليه السلام عصى ربه وخالف أمره فأكل من الشجرة المنهي عنها وعوقب على ذلك بطردته وزوجته من الجنة. فالذنب والخطيئة مخالفة أمر الله وعصيانه والعقوبة هي الطرد والعقوبة هي الطرد والعقوبات كفارات . فأي كفارة يقوم بها المسيح ؟ وصاحب الخطيئة علم ذنبه وأدرك خطأه وتاب إلى ربه ، فقبل الله توبته وغفر ذنبه . قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [١]. وقال ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [٢] وهل من المعقول أن يرتكب إنسان ما جريمة ما من الجرائم ويعترف بذلك أمام المحكمة اعترافاً واضحاً وصريحاً أنه مذنب ، أيحق له أو لمحاميه أن يدافع قائلاً أنا أذنبت ولكن فلاناً من الناس سيتحمل عني المسئولية خذوه فحاكموه وعاقبوه ؟. " إن مثل الإله الذي يقدم نفسه فدية لتخليص إنسان من خطيئة كمثل طبيب يكسر رأسه ليعالج صداع مريض أو مثل ذلك كمثل ملك يشنق وزيره أو ابنه لينقذ البلد من آفة اللصوص وقطاع الطرق . فتصور إزالة الجريمة عن المجرم الحقيقي بعقاب شخص برئ لا علاقة له بها أمر يثير العجب والاستغراب ولم يعلم عن قاضٍ ذي عقل يقدم ابنه البرئ

---

(١) البقرة آية ٣٧ .
(٢) طه ١٢٢ .

فدية ليطهر المجرمين الذين يحضرون بين يديه . فلماذا ينسب هذا التصور إلى الإله الحكيم ؟ فما أبعد هذا التصور وتلك العقيدة عن العقل والعدل معاً [١].

(ب) إنهم يقولون أن المسيح يتحمل عنا الذنوب والآثام والأوزار كيف ذلك وهو على حسب ما يصوره الإنجيل مذنب لا عصمة له ؟. والذي يدل على إرتكابه الذنب أنه قال لأمه (مالي ولك يا امرأة) [٢]. وقدم الخمرة للناس[٣] . وقال لشجرة التين ملعونة أنت شجرة التين[٤]. واعتمد يسوع من يوحنا المعمدان[٥] وكان يوحنا يعمد في البرية ... لمغفرة الخطايا[٦].

كل هذه الوقائع الإنجيلية تقدم صورة للمسيح لا تبرئه من الخطايا تماماً ولا يمكن بها إثبات عصمة المسيح[٧].

وهذه النصوص ترد على المسيحيين أنفسهم أيضاً في زعمهم أن الله لم يجد في تاريخ الإنسانية بأكملها شخصاً معصوماً وبريئاً غير المسيح ليفدي البشرية من خطاياها وآثامها . علماً بأن الأناجيل نفسها تعتبرها بيل بن آدم من الصالحين الأبرار[٨] .

---

(١) انظر المسيحية ساجد مير ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) إنجيل يوحنا ٢ / ٤ / ١٤٧ .
(٣) يوحنا ٢ / ٧ ــ ١٠ / ١٤٧ .
(٤) إنجيل مرقس ١١ / ١١ ــ ٢٢ / ٧٧ .
(٥) إنجيل مرقس ١ / ٩ / ٥٦ .
(٦) مرقس ١ / ٤ / ٥٦ .
(٧) المسيحية ساجد مير ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٨) متى ٢٣ / ٣٥ / ٤٣ والعبرانيين ١١ / ٤ / ٣٦٤ .

ويقول الكتاب المقدس عن النبي دانيال " إنه كان أميناً ولم يقترف خطأً ولا ذنباً "[١] . ويقول عن يوشيًا " عمل العمل المستقيم في عيني الرّب . وسار في جميع طريق داود أبيه ولم يجد يميناً ولا شمالاً "[٢] ويقول عن حزقيال "والتصق بالرب ولم يحد عنه "[٣]. وطلب صموئيل الشهادة من الناس على براءته وعصمته فشهدوا عليه "[٤] . وجاء عن زكريا وزوجته "وكانا كلاهما صالحين عند الله ملتزمين جميع أحكام الرب "[٥]. ويوجد شهادة يسوع نفسه ليوحنا المعمدان في الإنجيل " وهو الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان "[٦]. وتعده الأناجيل باراً قديساً "[٧] . فالأناجيل ترد بهذه الأقوال فكرة الخطيئة الإنسانية الأزلية وترفضها[٨].

(جـ) إن في نصوص الكتاب المقدس الذي تقدسونه وتؤمنون به ما ينفي وراثة الخطيئة وأن كل إنسان يتحمل وزر نفسه وإثمها فلا يتحمل الابن إثم أبيه ، والأب لا يحمل إثم الابن . جاء في سفر حزقيال " النفس التي تخطئ هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب . والأب لا يحمل من إثم الابن . برّ البّار عليه يكون وشر

---

(١) دانيال ٦ / ٥ / ١٢٧٣ .
(٢) الملوك الثاني ٢٢ / ٢ / ٦٢٤ .
(٣) الملوك الثاني ١٨ / ٦ / ٦١٦ .
(٤) صموئيل الأول ١٢ / ٣ ــ ٥ / ٤٤٣ .
(٥) لوقا ١ / ٦ / ٨٩ .
(٦) متى ١١ / ١١ / ١٩ .
(٧) مرقس ٦ / ٢٠ / ٦٦ ولوقا ١ / ١٥ / ٨٩ .
(٨) المسيحية ساجد مير ١٤٧ ، ١٤٨ .

الشرير عليه يكون.." [١]. وفي سفر التثنية " لا يقتل الآباء عن الأولاد. ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيئته يقتل ." [٢] وفي ارميا " في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصْرَماً وأسنان الأبناء ضرست ــ بل كل واحد يموت بذنبه ــ كل إنسان يأكل الحصْرِم تَضْرَس أسنانه "[٣] وأن المسيح ذاته لا يقول بتوارث الخطيئة ، بل يعتبر الأولاد أبراراً وأنقياء لم يولدوا خطاة ، وهذا واضح من النصوص الآتية " وقدموا إليه أولاداً لكي يلمسهم وأما التلاميذ فانتهزوا الذين قدموهم . فلما رأى يسوع ذلك إغتاظ وقال لهم دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم . لأن لمثل هؤلاء الأولاد ملكوت الله ــ الحق أقول لكم ــ من لا يقبل ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله . فأحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم "[٤]

وفي متى " فاذهبوا وتعلموا ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة "[٥] .

ويؤكد المسيح أن الإنسان لا يحمل ذنب غيره ولا خطيئته . وأن الله يحاسب العبد بقوله وفعله لا بأقوال وأفعال غيره "... أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين . لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان "[٦] .

---

(١) حزقيال ١٨ / ٢٠ / ١٢٠٢ .
(٢) سفر التثنية ٢٤ / ١٦ / ٣١٧ .
(٣) إرميا ٣١ / ٢٩ ــ ٣٠ / ١١٢٤ .
(٤) مرقس ١٠ / ١٣ ــ ١٥ / ٧٤ .
(٥) إنجيل متى ١٩ / ١٣ / ١٥ .
(٦) إنجيل متى ١٢ / ٣٦ ــ ٣٧ / ٢٢ .

ويصرح عيسى بمغفرة جميع الخطايا لبني البشر إلا من يجدّف على الروح القدس جاء في إنجيل مرقس " الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر . والتجاديف التي يجدفونها . ولكن من جدَّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً "[١] .

(د) إن مبدأ كفارة الذنوب وتحمل الخطايا والآثام فوق أنه إنكار لرحمة الرّب وإبعاد لعدالته سبحانه وتعالى يساعد على الفوضى الخلقية ويؤدي إلى نشر الإباحية وعدم تحمل المسئولية . فمقتضى كفارة المسيح لي أن أرتكب ما أشاء من الخطايا وأفعل ما أريد من الذنوب ولن أخشى ناراً ولا جباراً لأنه قد تحمل عن البشر خطاياهم .

ثم ما فائدة التكاليف والأعمال التي كلفهم بها عيسى ؟ وما الفرق بين الطائع والعاصي والمهتدي والضال والمؤمن والكافر ؟ إذا كان الجميع تكفر ذنوبهم وتغفر خطاياهم .

كان هذا موقف هوفمان ونقده لقضية الكفارة . الجذور التاريخية للصلب أتبعناها ببعض الوجوه التي اقتضاها الأمر ولزمتها الضرورة لنصل بعد ذلك إلى بيت القصيد وهو صلب المسيح كما زعموا .

وها نحن نذكر الروايات التي وردت في الأناجيل تتحدث عن ذلك ثم نتبعها بمناقشة هوفمان ونقده لها . وهي روايات مختلفة

---

(١) إنجيل مرقس ٣ / ٢٨ ، ٢٩ / ٦٠ .

ومتناقضة وحتى لا نصادر على المطلوب ونذكر النتائج قبل المقدمات نذكر هذه الروايات كما جاءت في كتابهم المقدس ــ زعموا .

" صلب يسوع "

يتآمر اليهود مع الرومان على المسيح ﷺ ويلصقون به التهم ويقولون عنه أنه يستطيع أن يهدم الهيكل ويبنيه في ثلاثة أيام[١]. وأنه كان يهيج الشعب على الحاكم ويحرضهم على العصيان[٢]. وسرعان ما شكلت له محكمة وحكمت عليه بالصلب وبذلك يتم الخلاص منه . وهنا تذكر الأناجيل[٣] محاكمته ومعاقبته في يوم الخميس أو الجمعة على اختلاف قبل عيد الفصح ــ فصح اليهود مباشرة جاء في إنجيل لوقا " إنهم قبضوا على يسوع وسيق إلى المحكمة وأنه حوكم في اليوم التالي من القبض عليه في بيت رئيس الكهنة أمام المشيخية ورؤساء الكهنة والكتبة." [٤] وفي مرقس " أن المحكمة كانت بالليل في نفس اليوم وأمام مجمع اليهود في الوقت الذي صاح فيه الديك ثانية . وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع وأسلموه إلى بيلاطس[٥].

(١) إنجيل مرقس ١٤ / ٥٥ ــ ٥٩ / ٨٤ ، ٨٥ ومتى ٢٦ / ٥٩ ــ ٦١ / ٥١ .
(٢) إنجيل لوقا ٢٣ / ١ ــ ٦ / ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٣) إنجيل مرقس ١٤ / ٥٥ ــ ٥٩ / ٨٤ ، ٨٥ ومتى ٢٦ / ٥٩ ــ ٦١ / ٥١ .
(٤) إنجيل لوقا ٢٢ / ٥٤ ــ ٧١ / ١٣٩ .
(٥) إنجيل مرقس ١٤/١٥/٧١ ، ١/٨٥ .

وتتفق روايات إنجيل لوقا ومرقس ومتي في أن العشاء الأخير كان هو الفصح جاء في لوقا " وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح وكان رؤساء الكهنة والكتبة ... وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً : اذهبا وأعدّا لنا الفصح لنأكل .. "[(١)] أما إنجيل يوحنا فإنه يخالف هذه الأناجيل الثلاثة ويجعل الفصح يأكل في المساء بعد موت يسوع "[(٢)] ويرى أغلب العلماء أن توقيت كل من متى ومرقس ولوقا صحيح وأن يوحنا قد غيرّ ذلك لأسباب عقائدية[(٣)]. ذلك أن يوحنا يقرر أن العشاء الأخير الذي حضره يسوع مع تلاميذه كان قبل الفصح . " أما يسوع قبل عيد الفصح . فحين كان العشاء ... قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وأتزر بها "[(٤)] ويقرر كذلك أنهم قبضوا على يسوع في مساء اليوم السابق لأكل الفصح وذلك في قوله " ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا على دار الولاية . وكان صبح ولم يدخلوهم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح "[(٥)].

إن اختلاف الأناجيل في توقيت العشاء الأخير ترتب عليه اختلافهم في نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر الصلب ألا وهي تحديد يوم الصلب فإذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا لكان

---

(١) إنجيل لوقا ١/٢٢ ـ ١٣٦/١٣ ، ١٣٧ وبنحو ذلك قال مرقس انظر مرقس ١٢/١٤ ـ ٨٢/٢١ ، ٨٣ ومتي انظر متي ١٧/٢٦ ـ ٤٩/٢٥ .
(٢) انظر إنجيل يوحنا١٢٨/٢٨/١٨ .
(٣) انظر المسيح اللواء أحمد عبد الوهاب ١٣٤ .
(٤) يوحنا ١/١٣ - ١٧٣/٥ .
(٥) يوحنا ١٨٢/٢٨/١٨ .

يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس ثم كان القبض بعد ذلك بقليل في مساء الخميس ذاته وبذلك يكون الصلب قد حدث في يوم الجمعة أما الأخذ برواية يوحنا فإنه يعني أن القبض كان مساء الأربعاء وأن الصلب حدث يوم الخميس ، فهل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة ؟[1] .

٢ ـ الحكم الذي حكمت به المحكمة : جاء في إنجيل مرقس " فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم فمضى به العسكر إلى داخل الدار التي هي دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجواناً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه ..... وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له ... ثم نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه . ثم خرجوا به ليصلبوه"[2]

ففي هذا الإنجيل أن الذين سخروا من المسيح جنود بيلاطس ... وفيه تفصيل لكيفية الضرب والتعذيب تمهيداً للصلب وفي لوقا أن الجنود هم جنود هيرودوس وأن الثياب التي كانت على يسوع كانت لامعة ولا تفصيل للتعذيب[3] ويخالف إنجيل متى ذلك ويذكر أن الجنود الذين سخروا هم عسكر الوالي مطلقاً بلا تحديد وأن لون الرداء كان قرمزياً وأضاف أنهم وضعوا قصبة في يمينه"[4]

---

(١) انظر المسيح أحمد عبد الوهاب ١٣٤ ، ١٣٥ ومسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء الشيخ أحمد ديدات ٥٢ ـ ٥٨ ترجمة علي الجوهري دار الاعتصام القاهرة ١٩٨٩م .
(٢) إنجيل مرقس ١٦/١٥ ـ ٨٦/٢١ .
(٣) إنجيل لوقا ١١/٢٣ ـ ٤٦ / ١٤٠ .
(٤) إنجيل متى ٢٧/٢٧ ـ ٥٣/٣١ .

٣ ــ يصلب يسوع وبينما هو على الصليب يصرخ صرخة الجازع اليائس والخائف الوجل ويحدد مرقس الساعة التي وقع فيها الصلب فيقول " ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : الوي الوي لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني "[١] ويأخذ متى برواية مرقس إلا أنه غير قوله الأخير : الوي الوي لما شبقتني إلى قوله : إيلي إيلي لما شبقتني[٢] ولوقا وإن كان يتفق في الساعة معهما إلا أن الكلمات التي ذكرها يسوع وهو على الصليب مختلفة تماماً يقول " ... ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك استودع روحي ولما قال هذا أسلم روح[٣].

وعند يوحنا : فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم[٤]

ويبدو أن القديسيين لوقا ويوحنا قد رأيا في هذه الكلمات غموضاً واحتمالاً لسوء الفهم ولذلك حذفاها ثم استبدل أحدهما بقوله " يا أبتاه في يديك استودع روحي"[٥] بينما قال الآخرة " قد أكمل"[٦].

(١) انظر إنجيل مرقس ٣٣/١٥ ، ٣٤ / ٨٧ .
(٢) إنجيل متى ٤٥/٢٧ /٥٣ ، ٥٤ .
(٣) إنجيل لوقا ٤٤/٢٣ ــ ٤٦ / ١٤١ .
(٤) إنجيل يوحنا ١٩/ ١٨٤/٣٠/ ١٨٥ .
(٥) لوقا ٢٣/ ١٤١/٤٦ .
(٦) يوحنا ١٩/ ١٨٥/٣٠ .

وكان الأولى أن تذكر الحقيقة التاريخية بصراحة وتسجل الروايات بصدق وأمانة للأجيال القادمة وإن خالف ذلك رغبة كتاب الأناجيل[١]

٤ ــ ولما صلب يسوع أنزلوه وكفنوه ودفنوه تأكيداً لموته على الصليب .

يقول مرقس " ولما كان المساء إذا كان الاستعداد ــ أي ما قبل السبت جاء يوسف الذي من الرَّاية مشير شريف . وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله . ودخل إلى بيلاطس ــ وطلب جسد يسوع . فتعصب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات . ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف فاشترى كفناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتاً من صخرة ودحرج حجراً على باب القبر وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسّى تنظران أين توضع "[٢]

ويتفق متى مع مرقس إلا أنه غير قول مرقس " مشير شريف " إلى قوله " رجلٌ غنيٌ"[٣] وفي إنجيل لوقا أن يوسف كان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً والنساء كن مجهولات والقبر الذي وضع فيه كانا منحوتاً حيث لم يكن أحدٌ وضع فيه قط .[٤]

---

(١) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية أحمد عبد الوهاب ١٧١ بتصرف .
(٢) إنجيل مرقس ٤٢/١٥ ــ ٨٧/٤٥ .
(٣) إنجيل متي ٥٧/٢٧ ــ ٥٤/٦١ .
(٤) إنجيل لوقا ٥٠/٢٣ ــ ١٤٢/٥٦ .

ويخالف إنجيل يوحنا ذلك فيشرك نيقوديموس مع يوسف في عملية الدفن . وقد حمل الأول مزيج مر وعود نحو مائة منا[١] وأنهما قد لفان بأكفان مع الأطياب وأن القبر الذي دفن فيه كان في بستان . وهو الموضع الذي صلب فيه أيضاً[٢]

٥ ــ ولما دفن يسوع قام من قبره بعد ثلاثة أيام وخرج على الجليل جاء في إنجيل لوقا " فدخلن ــ أي النسوة ــ ولم يجدن جسد الرّب يسوع وفيما هن مجتازات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة ... وقالا لهن : لماذا تطلبن الحي من الأموات ليس هو ها هنا لكنه قام اذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل قائلاً إنه ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم .. "[٣]

ومرقس لا يذكر الرجلان ولا المدة التي قام بعدها . وأن النساء رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حُلةً بيضاء فاندهش[٤].. وقد يكون متى قريباً من ذلك إلا أنه ذكر أن ملاك الرّب نزل من السماء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج[٥].

---

(١) إنجيل يوحنا ١٩/٣٩/١٨٥ .
(٢) يوحنا ١٩/٤٠ ــ ٤٢/١٨٥ .
(٣) إنجيل لوقا ٢٤/٣ ــ ١٤٢/٨ .
(٤) إنجيل مرقس ١٦/٥ ــ ٨٨/٨ .
(٥) متى ٢٨/١ ــ ٥٤/١٥ ، ٥٥ .

ويخالف يوحنا في ذلك فيذكر أن مريم المجدلية قالت لسمعان بطرس وتلميذ آخر كان يحبه يسوع إنهم أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه وأنهما تسابقا إلى القبر . فنظر التلميذ المحب إلى القبر ووجد الأكفان موضوعة ودخل سمعان بطرس إلى القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً في موضع وحده . فحينئذ دخل التلميذ الآخر ... ورأى فآمن لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات .. "[1]

هذه هي روايات الأناجيل منذ اتهام عيسى عليه السلام على قيامه من بين الأموات بعد دفنه بثلاثة أيام . وهي متناقضة كما بيّنا . ولا يستطيع الباحث الحازق أن يميز الصادق من الكاذب . فالشك متطرق إلى الجميع . وهذا مما يجعلنا نسقطها جميعاً من مجال الاستدلال على هذا الحدث ـ لأن الدليل ـ إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[2] ولو كان هذا الخلاف في شهادة اثنين يشهدان في درهم ما ثبتت بشهادتها دعوى ولا انتصر بها حق[3]

وبعد أن ذكرنا هذه الروايات وبينا تناقضها واختلافها نأتي لبيان رأي مراد هوفمان ونقده لقضية الصلب ..

---

(١) إنجيل يوحنا ٢٠/١ ـ ١٠/١٨٥ ، ١٨٦ .
(٢) مشكلات العقيدة النصرانية د/ سعد الدين السيد صالح ١٣١ .
(٣) انظر الكتب السماوية وشروط صحتها عبد الوهاب طويلة ٤٧٦ دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة مؤسسة علوم القرآن ببروت لبنان ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

يمسك مراد هوفمان أول طرف لقضية الصلب وهو الطرف التاريخي والذي يرتبط بشخصية بولس تلك الشخصية التي لعبت دوراً خطيراً في المسيحية بما أحدثته فيها من تغيرات وتحويلات جذرية جعلت المسيحية بولسية لاعيسوية فيقول " أما بالنسبة للنقطة الثانية ــ أي الصلب ــ فلم تكتسب أهميتها إلا من خلال بولس الرسول . وذلك على أساس نظرياته القائلة بإرث الخطيئة وضرورة الخلاص والموت للمخلص . وكلها تصورات لا يمكن جمعها أو أن تقترب من صورة الإله في الإسلام "[١]

فالصلب فعلاً من المسائل التي أحدثها بولس في المسيحية بعد عقيدة التجسيد وهي أيضاً كالتجسد محور رئيسي يدور عليه دينهم، بل رأس الإيمان عندهم[٢] كما قدمنا . وقد تأثر كتاب الأناجيل بهذه القضية وظهرت في أناجيلهم كما أسلفنا . أما كيف لاقت هذه القضية قبولاً لدي المسيحيين وأصبحت فيما بعد عماد المسيحية فإن الأحداث التي وقعت على جماعة المسيحيين الأول من فشل ذريع كانت مقدمة مهدت لذلك يقول هوفمان " لقد أستطاع بولس الرسول أن يحول الفشل الذي ذاقته جماعة المسيحيين الأوائل إلى عملية إنقاذ وخلاص وجعل من الصليب رمزاً لها وبذلك وضع الصليب في مركز الإنجيل المقروء والذي يعظ به وليس المكتوب حتى صار الصليب علامة لانتصار المسيحية[٣]

---

(١) الإسلام في الألفية الثالثة مراد هوفمان ١٦١ .
(٢) انظر العقائد الوثنية التنير ٨٣ .
(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٢ .

ويرى هوفمان أن الأناجيل الأربعة متى ولوقا ومرقس ويوحنا مختلفة ومتناقضة في صلب المسيح بطريقة تجعلنا لا نصدقها ولا نثق بها وأن رواية سَمْر المسيح لم تعرف إلا في القرن الثالث الميلادي من خلال ترتوليان ٢٢٠م ولا أصل لها في الأناجيل .

يقول هوفمان " إن الأناجيل الأربعة تختلف في مسألة الصلب بشكل لا يجعلنا نصدق أيًا منها أو نثق بها أما أن المسيح لم يوثق في الصليب بل سمر فهذه الرواية عرفت أول ما عرفت في القرن الثالث الميلادي خاصة من خلال Tertullian (١٦٠ ــ ٢٢٠) ترتوليان ولكن ليس على أساس نص وارد في الأناجيل بل على الآيات ١٧ ــ ١٩ التي وردت في المزمار[١] ٢٢ " ثقبوا يدي ورجلي صرت لهزالي أحصى عظامي .... يتقاسمون ثيابي .... وعلى لباسي يلقون قرعة ... "[٢]

واضح من ذلك أن هوفمان يستدعي التاريخ ليقف على حقيقة المسألة فنجعل مسألة الصلب من اختراعات بولس الرسول ويجعل رواية سمر المسيح متأخرة جداً إذ لم تعرف إلا في القرن الثالث الميلادي يعني بعد مرور أكثر من مائتي سنة على رفع المسيح ــ على يد ترتوليان وهذا يعني أن هذه القضية من القضايا المحدثة في المسيحية بدليل تاريخها كما يرى هوفمان .

(١) جاء في المزمور الثاني والعشرين " ثقبوا يدي ورجلي أحصى كل عظامي وهم ينظرون ويتفرسون في يقسمون ثيابي بينهم . وعلى لباسي يقترعون . أما أنت يارب فلا تبعد يا قوتي أسرع إلى نصرتي .. " المزمار ٢٢/١٧ ــ ١٩/٨٤٧ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦١ .

ويصل مراد هوفمان بعد هذا الجانب التاريخي إلى قضية الصلب والقيامة والمحاكمة والكلمات التي قالها المسيح وهو على الصليب ويرى أنها كلها ملفقة لا أساس لها من الصحة كما أنها روايات ألفت في زمن متأخر وهذا نسف كامل لكل ما أوردته الأناجيل بشأن هذه المسائل . يقول هوفمان " ولقد تسلطت أضواء على عنصري الصلب والقيامة واكتسبا رؤية جديدة حيث نالت الرؤية القرآنية مساندة من جانب التيار النقدي في علم اللاهوت والذي أثبت أن عملية المحاكمة وتوقيع العقوبة قد تما في يوم الجمعة نفسه قبل عيد فصح اليهود مباشرة وأن الكلمات التي تنسب للمسيح وهو على الصليب ما هي إلا كلمات ملفقة لا أساس لها من الصحة وأنها رواية مؤلفة في زمن لاحق لهذا الحدث ، أما الاعتقاد بقيامة المسيح والتي أصبحت ظاهرة تؤمن بها جماعة المسيحيين بأسرها وإن كانت في الأصل رؤية فرد واحد فيراها Ludemann رد فعل مسلسلاً لا مثيل له .." [١]. وقول مراد هوفمان حق وصدق وقد سبقه إلى ذلك أبو محمد عبد الله الترجمان ت ٨٣٢هـ في كتابه "تحفة الأريب في الرّد على عباد الصليب" حيث قال : " إن قول عيسى وهو على خشبة الصلب بزعمهم إلهي إلهي لم خذلتني. كذب على عيسى وحاشا أن يكون الله خذله أو تمكن اليهود من صلبه .." [٢] ويقول أيضاً " وإنا نكذبهم في كون عيسى قتل ودفن

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٧٤.
(٢) انظر تحفة الأريب في الرّد على عبّاد الصليب لأبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي ١٩٤ ت عمر وفيق الداعوق دار البشائر الإسلامية ط ١ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

وقام من قبره بعد الدفن وهو من اختلاف أوائل النصارى ودعاويهم الباطلة الغارقة في المحال والكفر والضلال .." [١].

وينتقد هوفمان الكفن الذي كفن به المسيح في زعمهم ويرى أن قطعة الكفن مزورة ويرجع تاريخ تزويرها إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر بإعتراف الكنيسة الكاثوليكية بناءً على تحليل علمي أثبت ذلك فيقول "وبطبيعة الأمر لم يكن ترتوليان ليعلم بوجود الكفن الذي يصور عملية الصلب . ولقد ثبت أن هذا الكفن قطعة مزورة من القرن ١٣ أو ١٤ كما تعترف الكنيسة الكاثوليكية منذ عام ١٩٨٨م[٢] ويذكر أن ذلك تم بناءً على طريقة الإشعاع الكربوني بأن الكفن يعود إلى الفترة ما بين ١٢٦٠ ــ ١٣٩٠م "[٣] هذا يعني أن تاريخ قطعة الكفن عمرها قرابة ٦٠٠ سنة بناءً على هذا التحليل العلمي وذلك باعتراف الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٩٨٨م وشهد شاهد من أهلها .

ويرى هوفمان أن الصليب الذي اتخذته المسيحية رمزاً لها ما هو إلا تخيل ، خاصة أن الصلبان الموجودة اليوم لا تتطابق مع الصلبان التي كانت شائعة في عهد المسيح . والاختلاف في شكله الموجود اليوم أكبر دليل على موضوع التخيل . فكل جماعة من المسيحيين تخيلت صليباً واتخذته رمزاً لها . فهناك صليب على شكل إكس "X" وصليب على شــكل زائد + وثالث على شــكل تي

---

(١) تحفة الأريب ١٩٦ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٢ .
(٣) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٢ هامش ٨ .

" T " وهو ما يعرف بالصليب اللاتيني[١]. يقول هوفمان " يمكننا أن نقول أن الصلبان وعليها المسيح والتي تشحذ خيالنا ما هي إلا تخيل. خاصة أن هذه الصلبان لا تتطابق مع الصلبان التي كانت شائعة في عهد المسيح .." [٢].

وعيسى عليه السلام لم يأخذ صليباً ولم يأت بصليب ولم يتخذه أصحابه الأوائل وإنما الصليب من مبتدعات قسطنطين . فقد ذكر يوسابيوس القيصري في كتابه " حياة قسطنطين العظيم ترجمة القمص مرقس داود ما نصه " إن الله أظهر لقسطنطين وهو يصلي هيئة صليب من نور في السماء في منتصف النهار وكتب تحته عبارة تنصحه بأنه بهذا يغلب ثم ظهر له في نومه مسيح الله وأمره بأن يستعمله في حروبه علماً مصنوعاً على شكل صليب"[٣] . وكان من ميلاد المسيح إلى ظهور الصليب ٣٢٨ سنة[٤] ـــ إذا سلمنا بصحة الصليب ـــ كيف والرواية الواردة في ذلك كلها اختلاق وكذب ؟ "[٥].

---

(١) انظر مشكلات العقيدة النصرانية د/ سعد الدين السيد صالح ١٢٩ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٢ .
(٣) انظر اكتشاف أكبر معجزة لبراءة المسيح محمد حسن يوسف ٢٢٥ ، ٢٢٦ وقد نقل ذلك من كتاب قسطنطين العظيم . دار الكتاب العربي دمشق ، القاهرة ط ١ / ٢٠٠٥م وانظر أدلة الوحدانية في الرّد على النصرانية محمد بن صفي الدين الحنفي ٧٠ ـــ ٧٧ تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية ط ١ / ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م .
(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ج ٢ / ٣١٨ ، ٣١٩ ت محمد حامد الفقي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩٢م.
(٥) السابق ج ٢ / ٣١٨ ، ٣١٩ .

وتتجلى عبقرية مراد هوفمان الفكرية في احتجاجه بكثير من علماء اللاهوت البروتستانت وقليل من علماء الكاثوليك في رفضهم لهذه القضية برمتها حيث طعنوا في مصادرها وبيّنوا ما فيها من الاختلافات والتناقضات وتأثرها بالأفكار الوثنية الشرقية وأن محاكمة عيسى ودفنه وقيامه لم يشهده أحد . وهذه الاحتجاجات لها دلالتها القوية ووقعها الشديد لأنها تعتبر هدماً لكبرى القضايا في المسيحية التي يدين بها ملايين البشر في الشرق والغرب على السواء وعلماء اللاهوت يتفقون مع المسلمين في هذه الجزئية يقول هوفمان " توقف اللاهوتيون البروتستانت وبعض الكاثوليك عن تضليل أنفسهم وراء مصادر غير موثوقة ناهيك عن المتناقضات والمفارقات التي لا تعد ولا تحصى وعن الإيمان بالأفكار الوثنية التي وجدت طريقها إلى الممارسات المسيحية . شككت الأبحاث التاريخية في مثول عيسى للمحاكمة ولم يشهد دفنه ولا قيامه أحد.."[1].

ويجعل هوفمان باول شفارتزناو من الذين ينكرون موت المسيح على الصليب والذين يتفقون مع المسلمين في هذا الإنكار فيقول " نحن نتفق مع بول شفارتزناو عندما يرى إنكار المسلمين لموت عيسى على الصليب هو إنكار لمفهوم الصلب والفداء والخلاص والخطيئة الأصلية وعند المسلمين لم يقتل اليهود عيسى ولم يصلبوه ولم يقاس آلام ذلك "[2] .

(١) الإسلام كبديل ٣٨ .
(٢) الإسلام كبديل ٤٠ .

ويحتج مراد هوفمان على نفي القتل والصلب بالقرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[1].

ويبين مراد هوفمان وجه الاستدلال بهاتين الآيتين " إذا ما قرأنا هاتين الآيتين قراءة متمعنة ومتأنية مدققين في الكلمات لتبينا ضمير الغائب للجمع ــ أي هم ــ الذي يظهر في قتلوه وصلبوه وهذا يعني أن الله الآمر بالحياة والموت هو من جعل المسيح يموت وليس اليهود وتقول هذه الآيات أن المسيح لم يمت مصلوباً ولكنه مات فيما بعد . ومما يؤيد هذا العرض القرآني لمسألة الصلب ويجعلنا نصدقه أن الأناجيل الأربعة تختلف في مسألة الصلب بشكل لا يجعلنا نصدق أيًا منها أنثق بأحدها "[2].

ويفهم من كلام هوفمان السابق أن المسيح لم يقتل ولم يصلب كما قال القرآن ولكنه مات فيما بعد وأن الله هو الذي أماته لا اليهود ، ويبدو أنه قال بالموت لأنه فهم أن الرفع بمعنى الموت وأخالفه الرأي في ذلك .

والآيتان من سورة النساء لم تتحدثا من قريب أو من بعيد عن الموت ، بل نفتا القتل والصلب . وأن الرفع ليس بمعنى الموت ..

---

(١) النساء آية ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٢) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦١ والإسلام كبديل ٤٠ ، ٤١ ، ٣٧ .

وآية آل عمران ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [١].." الآية ــ لا يحتج بها على الوفاة ــ لأن الوفاة لا تعني الموت . وقد يراد بها ــ القبض ــ أو النوم . وذلك شائع في القرآن قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾ [٢].. وقال تعالى أيضاً : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [٣].. وعليه تكون الوفاة في آية آل عمران "إني متوفيك" تعني منيمك أو قابضك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " وعيسى حي في السماء لم يمت بعد . وإذا نزل من السماء لم يحكم إلا بالكتاب والسنة ... وأما قوله ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾ .. الآية ، فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت ــ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين ــ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء . فعلم أن ليس في ذلك خاصية ــ وكذلك قوله : ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء ... وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [٤].. فقوله هنا . بل رفعه الله إليه يبين أنه رفع ببدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه

(١) آل عمران آية ٥٥ .
(٢) الأنعام آية ٦٠ .
(٣) الزمر آية ٤٢ .
(٤) النساء آية ١٥٧ ، ١٥٨ .

إذ لو أريد موته لقال " وما قتلوه وما صلبوه . بل مات " ولهذا قال من قال من العلماء " إِنِّي مُتَوَفِّيكَ " أي قابضك أي قابض روحك وبدنك يقال توفيت الحساب واستوفيته ولفظ التوفي لا يقتضي توفي الروح دون البدن ولا توفيهما جميعاً إلا بقرينة منفصلة وقد يراد به توفي النوم وذكر آية الزمر والأنعام .." [١]

ولو مات عيسى كما يقول هوفمان لتحققت أمنية اليهود والرومان في التخلص منه ولما كان لرؤية النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج معنى . فقد ثبت في الحديث الصحيح أنه عرج به إلى السماء فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم فلقيهما فسلم عليهما فردّا عليه السلام ورحبًا به وأقرّا بنبوته[٢]

ولو مات عيسى لم يكن للرفع فائدة ، فكل الناس يموتون في الأرض ويبعثون منها ولما كان لنزوله في آخر الزمان معنى . وقد تواترت الأحاديث الصحيحة[٣] في ذلك وقد حكى الشيخ محمد شفيع

---

(١) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرّد على أهل الشرك والإلحاد الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ٢٣٢ ، ٢٣٣ دار ابن الجوزي السعودية ط التاسعة ١٤٢٥هـ . وقد نقل ذلك عن ابن تيمية .

(٢) حديث الإسراء أخرجه البخاري ٣٢٠٧ ، ٣٨٨٧ ومسلم ١٦٤ والنسائي ٢١٧/١ وأحمد ج ٢٠٨/٤ ، ٢١٠ والطبراني في الكبير ج ٥٩٩/١٩ وابن حبان في صحيحه ٤٨ وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ج ٢٧٠/٢ ت الشيخ عبد الله التركي وزميله مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(٣) انظر التصريح بما تواتر من نزول المسيح الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي ٥٦ ت الشيخ عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب . ودار القرآن الكريم بيروت ط ٣ / ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م .

اتفاق أصحاب الأخبار والتفسير على رفع عيسى ببدنه حياً إلى السماء "[١] .

ومعلوم أنه لو أماته الله عزّ وجلّ لم يكن بالذي يمته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين لأن الله ﷻ أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحـــييهم كما قال تعالـــى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيــكُمْ هَلْ مِنْ شُــرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [٢] ... [٣]

والقول بموت المسيح يلزم منه إنكار نزوله في آخر الزمان فلا يفعل ذلك إلا أصحاب المدرسة العقلية الذين يستبعدون ذلك[٤].

ويقسم الحسن البصري على حياة عيسى عند الله الآن فيقول "والله إنه لحيّ عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون"[٥] .

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح في باب ذكر إدريس أن عيسى رفع وهو حيّ على الصحيح[٦] . ويقول ابن عطية الأندلسي

(١) السابق ٦٢ .
(٢) الروم آية ٤٠ .
(٣) تفسير الطبري لابن جرير الطبري ج ٣/٢٩١ دار الفكر بيروت ط ١٤٠٨/ ١٩٨٨م.
(٤) راجع تفسير المنار الشيخ رشيد رضا المجلد السادس ١٨ ــ ٥٩ دار المعرفة بيروت لبنان ط الثانية وفتوى الشيخ محمود شلتوت والملحقة بكتاب مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء الشيخ أحمد ديدات ١٩٦ ــ ٢٠٣ ترجمة علي الجوهري دار الاعتصام القاهرة .
(٥) تفسير الطبري ٦ / ٨ والتصريح للكشميري ٢٨٤ .
(٦) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٦ / ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

في تفسيره "وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حيّ .." [١].

ويقول الشيخ الكوثري " ظهر مما سبق أن نصوص القرآن الكريم وحدها تحتم القول برفع عيسى حيًا وبنزوله في آخر الزمان والأحاديث قد تواترت في ذلك واستمرت الأمة خلفاً عن سلف على الأخذ بها وتدوين موجبها في كتب الاعتقاد من أقدم العصور إلى اليوم ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ "[٢] .

كما ألف الشيخ محمد خليل هراس رسالة جيدة في هذا المعنى وسماها " فصل المقال في رفع عيسى حيًا ونزوله وقتله الدجال"[٣]. وكذلك الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه " إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان "[٤] .

ويرتاب هوفمان في كيفية رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وكأنه لم يستوعب آيتي الرفع في آل عمران[٥] والنساء[٦] ولم يفهمهما

---

(١) انظر البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ج ٢ / ٤٧٣ وقد نقل ذلك عن ابن عطية دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢ / ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .
(٢) انظر نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة الشيخ محمد زاهد الكوثري ٣٦ ط القاهرة ١٣٦٢هـ .
(٣) فصل المقال في رفع عيسى حيًا ونزوله وقتله الدجال الشيخ محمد خليل هراس ١٩ ــ ٧٧ مكتبة السنة القاهرة ط ١ / ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .
(٤) انظر إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ١٣-١٢٧ عالم الكتب بيروت لبنان ط ٣/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
(٥) آل عمران آية ٥٥ .
(٦) النساء آية ١٥٨ .

فاضطر إلى أن يقبل الأسطورة التي تقول إن عيسى عاش في كشمير ومات هناك في سن متقدمة لأن فكرة رفع عيسى حيّاً إلى السماء ترفضها وتستبعدها المدرسة العقلية كما قدمنا . يقول هوفمان " ولا أحد يعلم كيف رفع عيسى رغم التخمينات الكثيرة وفي ذلك " يقول القرآن :﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾[١] . ولهذا فيجب أن نقبل أسطورة حياة عيسى في كشمير وموته هناك في سن متقدمة[٢].

وهوفمان هنا متأثر ببعض الترجمات الغربية للقرآن الكريم وتعليقاتها كترجمة محمد أسد ويوسف علي وحمزة أبي بكر[٣].

ولو أنه كلف نفسه الرجوع إلى بعض التفاسير لعلمَ كيف رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، فقد رفع حيّاً بجسده وروحه كما ينزل في آخر الزمان بجسده وروحه ليحكم بشريعة الإسلام كما هو مشهور ومعروف في رأي جمهور أهل العلم[٤].

---

(١) النساء آية ١٥٧ - ١٥٩ .
(٢) الإسلام كبديل لمراد هوفمان ٤٠ ، ٤١ .
(٣) الإسلام كبديل ٤٤ .
(٤) انظر تفسير المنار ج ٣ / ٣١٦ والتصريح بما تواتر من نزول المسيح ٦٢ .

وإذا كان هوفمان يستبعد ذلك فإننا نقول له : إن معجزة عيسى عليه السلام في الرفع هنا كرفع محمد ﷺ وعروجه أيضاً لا فرق بينهما فإذاً كيف آمنت بمعجزة محمد ﷺ في الإسراء والمعراج، فيجب عليك أن تؤمن كذلك بمعجزة عيسى عليه السلام ، فالفاعل في المعجزتين واحد وهو الله في الإسراء قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ [1] وفي شأن عيسى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [2] فالله هو الذي أسرى بعبده والله هو الذي رفع المسيح إليه . والقصد فيهما واحد وهو التحدي إلا أنه في عيسى كان لليهود وفي محمد كان للمشركين والمعاندين وكما أيدّ الله محمداً بالملائكة فقد أيّد عيسى أيضاً بالملائكة ، وخاصة أن عيسى كان معجزة في ولادته وطفولته وكذلك في رفعه إلى السماء أيضاً .

وقول الله ﷻ في سورتي آل عمران والنساء : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ يبين أنه رفع ببدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه كما صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما تقدم .

وأما أسطورة حياة عيسى في كشمير وموته هناك في سن متقدمة والتي يقول هوفمان بوجوب قبولها[3] فيكفي في ردّها أنه حكم عليها بالأسطورة ، كما أنها من الآثار اليهودية التي ادعاها

---

(١) الإسراء آية ١ .
(٢) النساء آية ١٥٨ .
(٣) الإسلام كبديل ٤١ .

ميرزا غلام أحمد القادياني . يقول الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان سابقاً وتلميذ الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ت ١٣٥٢ هـ "فادعى الرجل أولاً مقتفياً آثار اليهودية أن عيسى بن مريم عليه السلام قد مات ودفن في كشمير"[١].

وقد ذكر الشيخ محمد عبده في تفسيره المنار القول بهجرة المسيح إلى الهند وموته في بلدة " سِريْ نكره " في كشمير هذه البلدة يقال إن فيها قبر عيسى وقد كتب عليها كم يزعم غلام أحمد "مقبرة عيسى صاحب" وزعم هذا الدعي أن أكثر من سبعين اسماً من أسماء أهل ذلك البلد قالوا إن ذلك القبر هو قبر المسيح عيسى بن مريم والعجيب أن يحتج غلام أحمد لبدعته هذه بآية سورة المؤمنون ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [٢] ومفسراً ذلك بهجرة عيسى إلى الهند واللجأ إلى تلك البلدة في كشمير ... والربوة المكان المرتفع وبلاد كشمير من أعلى بلاد الدنيا وهي ذات قرار مكين وماء معين . "[٣]

ويرد على ذلك الشيخ محمد عبده فيقول " والمشهور عند المفسرين أن هذه الربوة هي رملة فلسطين أو دمشق الشام ـــ ولو آوى الله المسيح وأمه إليهما لما خفي مكانهما فيهما لاسيما إذا كان ذلك بعد محاولة صلبه وتأليب اليهود عليه كما يدل عليه لفظ الإيواء

---

(١) انظر مقدمة التصريح بما تواتر من نزول المسيح الشيخ الكشميري تقديم الشيخ محمد شفيع ٤٣ تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .
(٢) المؤمنون آية ٥٠ .
(٣) انظر تفسير المنار الشيخ رشيد رضا ج ٤٢/٦ ، ٤٣ .

الذي لم يستعمل في القرآن إلا في الانقاذ من المكروه كما علم من الأمثلة المذكورة آنفاً ومثلها قوله تعالى في الأنصار رضي الله عنهم : ﴿ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا ﴾ (١) وفي يوسف عليه السلام ﴿ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ (٢)... ولم يكن عيسى قبل تألب اليهود عليه والسعي لقتله وصلبه في مخالفة يحتاج فيها على الإيواء في مأمن منه "(٣)

وبعد هذا الرد الجميل والمقنع يرتد الشيخ محمد عبده ناقضاً ما قاله فيقول " ففرار عيسى إلى الهند وموته في ذلك البلد ليس ببعيد عقلاً ولا نقلاً "(٤)

وقد يكون ذلك من الممكن العقلي أما أن يكون ذلك نقلاً فلا أدري من أين أتى الشيخ بهذا الكلام ؟ وما مصدره فيه ؟

وما لنا نعيش في تلك الأساطير والأوهام والخرافات . إن سبب ذلك هو إدعاء موت عيسى ولو التزمنا بالنصوص وأخذنا برأي الجمهور لأرحنا واسترحنا .

---

(١) الأنفال ٧٢ .
(٢) يوسف آية ٦٩ .
(٣) تفسير المنار ج ٤٢/٦ ، ٤٣ .
(٤) السابق ج ٤٢/٦ ، ٤٣ .

" الخاتمة "

بعد العرض المتقدم لهذا البحث نستطيع أن نخلص في نهايته إلى النتيجة الآتية :

١ ــ إن أكبر حدث في حياة هوفمان ــ هو إسلامه ــ وانتقاله من المسيحية إلى الإسلام يعتبر تغيراً كبيراً وتحولاً خطيراً في حياته من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين . وكان ذلك نتيجة القراءة الكثيرة والمتنوعة ــ ومعاشرة المسلمين والوقوف على كثير من أخلاقهم وسلوكهم الأمر الذي يدل على عقليته الواعية وثقافته الواسعة وفهمه الدقيق لحقائق الأمور .

٢ ــ تحول هوفمان بعد إسلامه من سفير لبلاده في كثير من البلاد وإدارة حلف شمال الأطلسي إلى داعية إسلامي كبير يجوب البلاد شرقاً وغرباً من هلسنكي إلى كوالمبور ــ من الرياض إلى لوس انجلوس . من الخرطوم إلى ليبزج في ألمانيا ــ وهذا التحول لا يقل خطورة ــ في نظري عن سابقه ــ حيث يقوم الآن بدور خطير هو شرح الشرق للغرب والعكس ليقيم جسوراً من التفاهم بينهما وليساهم في إزالة مشاعر العداء التي يكنها كل طرف للآخر ولاشك إن الغرب في حاجة ماسة لهذا النموذج من الدعاة حيث الثقافة الواسعة والوعي الكامل .

٣ ــ أثرى هوفمان المكتبة الإسلامية بمؤلفاته التي عالجت كثيراً من الموضوعات المهمة والخطيرة ــ فكتابه " الإسلام كبديل " يعالج الأزمة التي يعاني منها الغرب في جميع مجالاته الدينية

والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ــ ويقدم من خلال نظريته المعروفة بـــ " نظرية البديل " والتي تأثر فيها إلى حد ما بأستاذه ليوبالدفاس "محمد أسد" ولا يقف أمره عند هذه النظرية بل يتعداها إلى النظرة المستقبلية للإسلام . بالرغم من الامن والمحن التي يتعرض لها . هنا وهناك . فيألف كتابه " الإسلام عام ٢٠٠٠م " " الإسلام في الألفية الثالثة " .

٤ ــ وجه هوفمان نقده لمصدر المسيحية الأصلي وهو العهد الجديد "الإنجيل" والذي يدين به ملايين المسيحيين ويعتقدون أنه وحي الله . مبيناً أنه مشكوك فيه ومزور ومحرف ــ ومن عمل البشر وصياغتهم وليس من وحي السماء ... ولو طبقنا مبادئ البحث التاريخي عليه فسوف نضطر إلى حذف رسائل بولس كاملة. لأنه لم يشاهد المسيح ولم يقابله ولم يتحدث معه وكذلك الرسالة الأولى ليوحنا .. والثانية لبطرس .. وبعض المواضع من إنجيل متى ــ ويوجه سهام نقده ليضرب العقيدة المسيحية في الصميم عندما يقول " ومن ضمن هذه المواضيع ــ التعميد باسم الآب والابن . والروح القدس [1] ويعتبر هوفمان الإنجيل مصدراً ثانوياً أو غير مباشر ــ أشبه ما يكون بالرواية الأدبية ــ أو الأحاديث الضعيفة ــ والأفضل تشبيهه بالأحاديث الموضوعة التي لا تثبت أمام النقد ــ لا سنداً ولا متناً ــ ومن المؤسف حقاً أن أقدم نسخة لدي المسيحيين من الإنجيل لم تكتب إلا بعد مجمع نيقية

---

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦٩ .

المنعقد عام ٣٢٥م يعني أن الكنيسة بقيت قرابة أربعة قرون بغير كتاب . وظلت محرومة مما يسمى بالعهد الجديد طوال هذه الفترة .

٥ ــ كما نقد هوفمان المصدر الثاني للعقيدة المسيحية وهو المجامع ــ التي يعتقدها ويدين بها المسيحيون على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم باعتبارها مجامع بشرية . وفرضت بالقوة وذلك ينافي كونها شورية ــ وكان لبولس وقسطنطين الأثر السيئ سياسياً ودينياً على المسيحية بما فعلوه وأحدثوه في هذه المجامع ــ ولا يزال أثر ذلك باقيا إلى يومنا هذا .

٦ ــ أسفرت هذه المجامع عن القول بالتثليث . والتثليث لم يقله المسيح ولم يأت به ولم يذكره لا من قريب ولا من بعيد . وإنما كان يدين بالتوحيد كسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين . ولم تعرف المسيحية التثليث إلا من خلال مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ م ومجمع القسطنطينية المنعقد عام ٣٨١ م وذلك يعني أنها ظلت قرابة أربعة قرون لا تعرف شيئاً عنه . وكان من أكبر آثار هذه المجامع الإنشقاق الكنسي الذي حدث منذ القرن الخامس الميلادي وبالتحديد في مجمع خلقدونية المنعقد عام ٤٥١ م وكان ذلك مقدمة للانشقاق النهائي الذي فصل الكنيسة الشرقية عن الغربية في القرن الحادي عشر .

٧ ــ إن القول بالتثليث لا أساس له من الصحة في المسيحية الأولى . وهو باطل في المسيحية الحالية لا يتفق مع العقل ولا مع النقل ولا مع التاريخ . ولما فشلت المذاهب والطوائف

المسيحية في تقديم تفسير معقول لهذا الأمر جعلوه لغزاً من ألغاز الديانة وسراً من أسرارها وأصبح هذا القول مرهقاً للكنيسة ومحرجاً لرجال الدين . وقد أثمر ذلك ظهور أبحاث جديدة لكثير من علماء اللاهوت وغيرهم من الغربيين نرفض هذا القول وتدينه.

٨ ـــ يفرق هوفمان بين مسيحيتين ـــ المسيحية الأولى ـــ المسيحية الموحدة ـــ والتي تدين بالتوحيد كما يدين به المسيح ـــ والمسيحية الثانية ـــ مسيحية بولس ـــ وهذه المسيحية هي التي حولت الديانة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار" من التوحيد الخالص إلى التثليث الخالص " فالقول بتأليه المسيح وفرضية الثالوث المقدس . وإضفاء صبغة شيطانية على الجسد قد بدأت معه والأولى أن تسمى المسيحية الثانية ـــ الموجودة حاليا ـــ بالمسيحية البوليسية .

٩ ـــ إن عقيدة الصلب والفداء والقيامة والمحاكمة والتي يدين بها جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم ملفقة ومزورة ولا أساس لها من الصحة . وتبرز عبقرية هوفمان في نقده لهذه العقيدة بتركيزه على الجانب التاريخي ـــ بعد العقلي والنقلي ـــ فيقول " إن المسيح لم يوقف في الصلب بل سُمِرّ في زعمهم . وهذه الرواية عرفت أول ما عرفت في القرن الثالث الميلادي من خلال ترتوليان "[١] حتى الكفن الذي يزعمون أنهم كفنوا به المسيح يراه قطعة مزورة يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر

(١) الإسلام في الألفية الثالثة ١٦١ .

باعتراف الكنيسة الكاثوليكية بناءاً على تحليل علمي أثبت ذلك[١] ويقول " شككت الأبحاث التاريخية " لعلماء اللاهوت " في مثول عيسى للمحاكمة ولم يشهد دفنه ولا قيامته أحد "[٢] .

١٠ ــ وإذا كانت عقيدة الصلب والفداء باطلة فما أقيمت عليه باطل أيضاً . وهو القول بالكفارة ــ كفارة الذنوب وتحمل الأوزار والآثام . وليس ذلك من خلال نصوص ديننا فقط بل من خلال نصوص دينهم وكتبهم أيضاً .

١١ ــ بالرغم من قول هوفمان ببطلان قتل المسيح وصلبه كما صرحت بذلك النصوص من الكتاب والسنة إلا أنه يذهب إلى القول بموت المسيح بعد ذلك . وأن الله هو الذي أماته لا اليهود وهو قول مجانب للصواب .

وقد اتفق أصحاب الأخبار والتفسير على رفع عيسى حياً ببدنه إلى السماء حتى حلف بعض السلف على حياته فيها . والقول بموته يلزم منه إنكار نزوله في آخر الزمان . وهذا من الأمور المتواترة ــ كما حكاه الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في كتابه " التصريح بما تواتر من نزول المسيح " وكان الأولى بهوفمان أن يتقيد بالنصوص في ذلك بدلاً من السير وراء الأسطورة الخرافية التي تقول بموت عيسى في كشمير .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) السابق ١٦٢ .
(٢) الإسلام كبديل ٣٨ .

" ثبت المراجع "

المراجع والمصادر مرتبة على ترتيب الحروف الهجائية دون مراعاة للألف واللام .

" حرف الألف "

١ ــ أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ــ محمد صفي الدين الحنفي ــ تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعد دمشقية ــ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

٢ ــ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ــ دار ابن الجوزي ــ السعودية ط التاسعة ١٤٢٥هـ .

٣ ــ إستدراكات مراد هوفمان على الإسلام ــ عرض وتقويم د/ عبد العظيم المطعني ــ مكتبة وهبة القاهرة ط ١/١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م .

٤ ــ الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين د/ محمد السيد الشاهد ــ مقال على شبكة الانترنت .

٥ ــ الأسفار المقدسة د/ علي عبد الواحد وافي ــ دار نهضة مصر ــ القاهرة د/ت .

٦ ــ الإسلام عام ٢٠٠٠م د/ مراد هوفمان ترجمة عادل المعلم مكتبة الشروق القاهرة ط ١/١٩٩٥م .

٧ ــ الإسلام على مفترق الطرق ــ محمد أسد ــ ترجمة عمر فروخ ــ سلسلة صوت الحق ــ توزيع دار الجهاد ــ دار الاعتصام ــ بالقاهرة ــ د/ت .

٨ ــ الإسلام في الألفية الثالثة د/ مراد هوفمان ــ ترجمة عادل المعلم ، ويس إبراهيم مكتبة الشروق بالقاهرة ط ١/١٤٢١ هـــ ٢٠٠١م .

٩ ــ الإسلام كبديل آثار زوبعة كبرى ــ مقال في مجلة النور الكويتية ع ١٩٦ جمادي الآخرة ١٤٢٢هــ ــ آب أغسطس ٢٠٠١م .

١٠ ــ الإسلام كبديل ــ د/ مراد هوفمان ــ ترجمة عادل المعلم دار الشروق القاهرة ط ١ ــ ١٤١٨هــ ــ ١٩٩٧م .

١١ ــ إشكاليات الحوار الإسلامي المسيحي ــ علي إسماعيل الجدة ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

١٢ ــ إظهار الحق ــ الشيخ رحمة الله الهندي ــ ترجمة د/ محمد أحمد خليل ملكاوي ط السعودية ــ الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد والافتاء ــ الرياض ط ٤/١٤٢٤هــ ــ ٢٠٠٣م .

١٣ ــ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية تحقيق محمد سيد كيلاني ــ مكتبة النور الإسلامية ــ بيروت لبنان ــ د/ت .

= إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ط ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

١٤ ـ إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق العماري عالم الكتب بيروت لبنان ط ٣/١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

١٥ ـ اكتشاف أكبر معجزة لبراءة المسيح الأستاذ محمد حسني يوسف ـ دار الكـتاب العربي دمشق ـ القاهرة ط ١/ ٢٠٠٥م .

١٦ ـ إنجيل برنابا ت د/ خليل سعادة تقديم الشيخ محمد أبو زهرة دار البشير القاهرة د/ت .

١٧ ـ الإنجيل والصليب الأب عبد الواحد داود الأشوري مكتبة النافذة القاهرة ط ١/٢٠٠٤م .

١٨ ـ أوربا ـ العصور الوسطى ـ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٠/١٩٨٦م .

" حرف الباء "

١٩ ـ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢/١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢٠ ــ برهان جديد يتطلب قراراً إجابات لأسئلة تحدي المسيحيين في القرن الحادي والعشرين بقلم جوشن ماكدويل ــ دار الثقافة ــ الشبكة .

" حرف التاء "

٢١ ــ التثليث بين الوثنية والمسيحية د/ محمود حماية مكتبة وهبة القاهرة ط ٣/٢٠٠٥م .

٢٢ ــ تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه ــ بسمة أحمد جستنية دار القلم دمشق سوريا ط ١/ ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م .

٢٣ ــ تحفة المريد في الرد على عباد الصليب عبد الله الترجمان الميورقي ت د/ عمر الداعوق دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ط ١/١٤٠٨هـ .

٢٤ ــ تحقيق القول في تحول بولس ــ بحث د/ حمدي عبد العال . منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ جامعة الكويت ع ١٦/١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .

٢٥ ــ التصريح بما تواتر من نزول المسيح الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ت الشيخ عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ودار القرآن الكريم بيروت لبنان ط ٣ سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

٢٦ ـ تفسير القرآن الحكيم ـ المسمى تفسير المنار الشيخ محمد رشيد رضا ـ الناشر دار المعرفة بيروت لبنان ـ ط الثانية ـ د/ت .

٢٧ ـ التوراة والإنجيل والقرآن ـ موريس بوكاي ـ ترجمة نخبة من العلماء ـ دار الكندي ـ بيروت لبنان ط ٢/ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

" حرف الجيم "

٢٨ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ دار الفكر بيروت لبنان ط ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٢٩ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مطابع نجد التجارية ـ السعودية ـ د/ت .

" حرف الحاء "

٣٠ ـ حول الدوجما ـ مقال الأستاذ أبو بكر السقاف ـ الأدب ـ مؤسسة الأيام للطباعة والنشر الصحفي ـ بتاريخ ٢٠/٢/ ٢٠٠٦م . الشبكة

" حرف الخاء "

٣١ ـ الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة بيروت ط ١٠/١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٣٢ ــ خوار الذات والأدمغة المستعمرة د/ مراد هوفمان ــ ترجمة عادل المعلم ونشأت جعفر مكتبة الشروق الدولية ــ القاهرة ط ١/١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م .

" حرف الدال "

٣٣ ــ دراسات في الملل والنحل أصول المسيحية الهلينية د/ محمد عبد الله الشرقاوي د/ت .

٣٤ ــ الديانات والعقائد في مختلف العصور ــ أحمد عبد الغفور عطار ــ مكة المكرمة الطبعة الأولى١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

٣٥ ــ ديوان الأعشى ــ ميمون بن قيس ــ دار صادر بيروت لبنان ــ د/ت .

" حرف الراء "

٣٦ ــ الرحلة إلى الإسلام ــ يوميات دبلوماسي ألماني ــ د/ مراد هوفمان ــ تعريب د/ محمد سعيد دباس ــ مكتبة العبيكان ــ السعودية ط ١/١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م .

٣٧ ــ الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلتهم بالعرب د/ أسد رستم ــ نشر دار المسكوف ــ بيروت لبنان ط ١/١٩٥٥م .

" حرف الشين "

٣٨ ــ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ت الشيخ عبد المحسن التركي وزميله مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط ١٢ ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م .

" حرف الطاء "

٣٩ ــ الطريق على مكة ــ د/ مراد هوفمان ــ دار الشروق القاهرة ط ١/١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م .

" حرف العين "

٤٠ ــ العزوبة في اليهودية والمسيحية والإسلام د/ علي عبد الواحد وافي ــ الشبكة .

٤١ ــ عصمة الأنبياء للإمام فخر الدين الرازي ــ تقديم ومراجعة محمد حجازي الناشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط ١/ ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

٤٢ ــ عظماء قادة الأديان د/ عبد الجليل شلبي مؤسسة الخليج العربي القاهرة ط ١/١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م .

٤٣ ــ العقائد الوثنية في الديانة المسيحية محمد بن طاهر التنير البيروني ت د/ محمد عبد الله الشرقاوي ــ دار الصحوة القاهرة ط ١/١٤٠١هـ ــ ١٩٨٩م .

" حرف الغين "

٤٤ ــ الغفران بين الإسلام والمسيحية الأستاذ إبراهيم خليل أحمد ــ دار المنار القاهرة ط ١/١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م .

" حرف الفاء "

٤٥ ــ الفارق بين المخلوق والخالق الشيخ عبد الرحمن الباجة جي زادة مراجعة عبد المنعم درويش ــ ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

٤٦ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ــ ت الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي وقراءة وتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز دار الفكر للطباعة والنشر ــ بيروت لبنان ــ د / ت .

٤٧ ــ فتوى الشيخ محمود شلتوت ــ شيخ الأزهر ــ الملحقة بكتاب مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء الشيخ أحمد ديدات ــ ترجمة علي الجوهري ــ دار الاعتصام القاهرة د / ت .

٤٨ ــ فصل المقال في رفع عيسى حيًا ونزوله وقتله الدجال د/ محمد خليل هراس ــ مكتبة السنة القاهرة ط ١ / ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.

٤٩ ــ فلسفة الغفران . الأستاذ عوض سمعان المطبعة التجارية الكبرى ــ القاهرة د / ت .

٥٠ ــ فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام ــ لويس غرديه وجورج قنواني ــ ترجمة د/ صبحي الصالح ــ وفريد جبر دار العلم للملايين بيروت لبنان ط ١ / ١٩٦٧م .

٥١ ــ في تطور الشريعة الإسلامية د/ مراد هوفمان قراءة وتعريب الأستاذ يوسف مزاحم وفراس قهوجي . مركز الراية للتنمية الفكرية دمشق سوريا ط ١ / ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م .

" **حرف القاف** "

٥٢ ــ قراءة في الكتاب المقدس ــ د/ صابر طعيمة ــ ط المدينة المنورة ــ د / ت .

٥٣ ــ قصة الحضارة الإسلامية ــ ول ديورانت ــ ترجمة محمد بدران ــ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ــ ط ٣ / ١٩٧٣م .

٥٤ ــ قيصر والمسيح د/ رأفت عبد الحميد ــ ضمن سلسلة الدولة والكنيسة ــ دار قباء القاهرة ــ ط ٣ د / ت .

" **حرف الكاف** "

٥٥ ــ الكتاب المقدس . " العهد القديم والعهد الجديد ط دار الكتاب المقدس ــ القاهرة د / ت .

٥٦ ــ الكتاب المقدس في الميزان عبد السلام محمد ــ دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة ط ١ / ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م .

٥٧ ــ الكتب السماوية وشروط صحتها الأستاذ عبد الوهاب طويلة ــ دار التيلة للثقافة الإسلامية ــ جدة ومؤسسة علوم القرآن بيروت لبنان ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .

٥٨ ــ كيف أخبر أمي بإسلامي ــ مقال د/ مراد هوفمان مجلة الإسلام ميونخ . د / ت .

" حرف الميم "

٥٩ ــ ما هي النصرانية محمد تقي العثماني ــ ط الرئاسة العامة للافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية ــ د / ت .

٦٠ ــ المجامع المسيحية وأثرها في النصرانية د/ محمد رجب الشتيوي ط ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م .

٦١ ــ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب المسيحية ــ مجلة رسالة الإسلام ع ٣١ الشبكة .

٦٢ ــ محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربي القاهرة ط ٣ / ١٩٦١م .

٦٣ ــ محاضرات في مقارنة الأديان إبراهيم خليل أحمد دار المنار القاهرة ط ١ / ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م .

٦٤ ــ المختار في الرد على النصارى للجاحظ ــ مع دراسة تحليلية تقويمية للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ــ دار الصحوة القاهرة ــ ط ١ / ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٤م .

٦٥ ــ مراد هوفمان من متحدث باسم الأطلسي إلى داعية إسلامي حوار في مجلة الأسرة أجراه الأستاذ مرتضى عبد الله ع ١١٠ جماد الأولى ١٤٢٣هــ.

٦٦ ــ مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت محمد علي البجاوي دار المعرفة بيروت لبنان ط ١ / ١٣٧٤هــ ــ ١٩٥٥م .

٦٧ ــ مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء الشيخ أحمد ديدات ترجمة علي الجوهري دار الاعتصام ــ القاهرة ١٩٨٩م .

٦٨ ــ مستقبل الديانة هل المسيحية ستموت ــ مقال للأب يوسف توما الدمنيكاني رئيس تحرير مجلة الفكر المسيحي ــ العراق ــ الشبكة .

٦٩ ــ المسيح في مصادر العقائد المسيحية اللواء أحمد عبد الوهاب . مكتبة وهبة القاهرة ط ٢ / ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٨م .

٧٠ ــ المسيحية نشأتها وتطورها شارل جيلنيير ترجمة د/ عبد الحليم محمود ط دار المعارف القاهرة ــ د / ت .

٧١ ــ المسيحية ــ النصرانية ــ دراسة تحليلية الأستاذ ساجد مير دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ــ السعودية ١٤٢٣ هــ ــ ٢٠٠٢م .

٧٢ ــ مشكلات العقيدة النصرانية د / سعد الدين السيد صالح . د/ ت .

٧٣ ــ المفكر الألماني المسلم ــ مراد هوفمان في حوار مع مجلة المعرفة ــ خيار الإنسان الآن ــ الإسلام أو العلمانية .ع٥٦.

٧٤ ــ المفكر الألماني المسلم د/ مراد هوفمان ــ مقال لمجلة الاقتصاد الإسلامي ع ٢١٣ ــ شعبان ١٤١٩هـ ــ نوفمبر وديسمبر ١٩٩٨م .

٧٥ ــ المنصفون للإسلام من الغرب ، رجب البنا ، دار المعارف القاهرة ط ٢/٢٠٠٦م .

٧٦ ــ موسوعة تاريخ الأقباط ــ زكي شنودة ــ مطابع البلاغ القاهرة ط ٢/١٩٦٨م .

٧٧ ــ الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة إشراف وتخطيط ومراجعة د/ مانع الجهني دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع السعودية ط ٣/١٤١٨هـ

" حرف النون "

٧٨ ــ النصرانية من التوحيد إلى التثليث د/ محمد أحمد الحاج دار القلم دمشق ط ٢/١٤٢٣هـ .

٧٩ ــ النصرانية والإسلام ــ عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة، المستشار محمد عزت الطهطاوي ــ دار الأنصار القاهرة ــ د/ت

٨٠ ــ نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث ــ د/ مراد هوفمان ــ مكتبة العبيكان ــ الرياض السعودية ط ١/١٤٢٤هــ ــ ٢٠٠٣م .

٨١ ــ نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة الشيخ محمد زاهد الكوثري ــ ط القاهرة ــ ١٣٦٢هــ .

" حرف الهاء "

٨٢ ــ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ــ لمحمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية تحقيق أحمد حجازي السقا ــ المكتبة القيمة بالقاهرة ط ٢ / ١٣٩٩هــ .

٨٣ ــ هكذا أسلم مراد هوفمان د/ عبد المعطي الدلاتي مقال على شبكة الانترنت ــ موقع صيد الفوائد .

٨٤ ــ هل حان الوقت لتشهد إسلاماً أوربيا ــ مقال الأستاذ فهمي هويدي مجلة المجلة ع ٣٦٦ .

" حرف الواو "

٨٥ ــ ولد الهدى فالكائنات ضياء مقال د/ نعمات أحمد فؤاد ــ جريدة الأهرام القاهرة . الأربعاء ١٤ / ٦ / ٢٠٠٠م .

" حرف الياء "

٨٦ ــ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د/ رؤوف شلبي ــ دار ثابت للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤١٠هــ ــ ١٩٨٩م .

٨٧ ــ يوميات ألماني مسلم د/ مراد هوفمان ترجمة د/ عباس رشدي العماري مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة ط ١/ ١٤١٤هــ ــ ١٩٩٣م .

٨٨ ــ يوميات ألماني مسلم مقال أعده د/ عبد الودود شلبي. ونشرته مجلة روح الإسلام ع ٣٢ رمضان ١٤١٧هــ ــ يناير ١٩٩٧م .

الفهرس الإجمالي

" والحمد لله رب العالمين "

